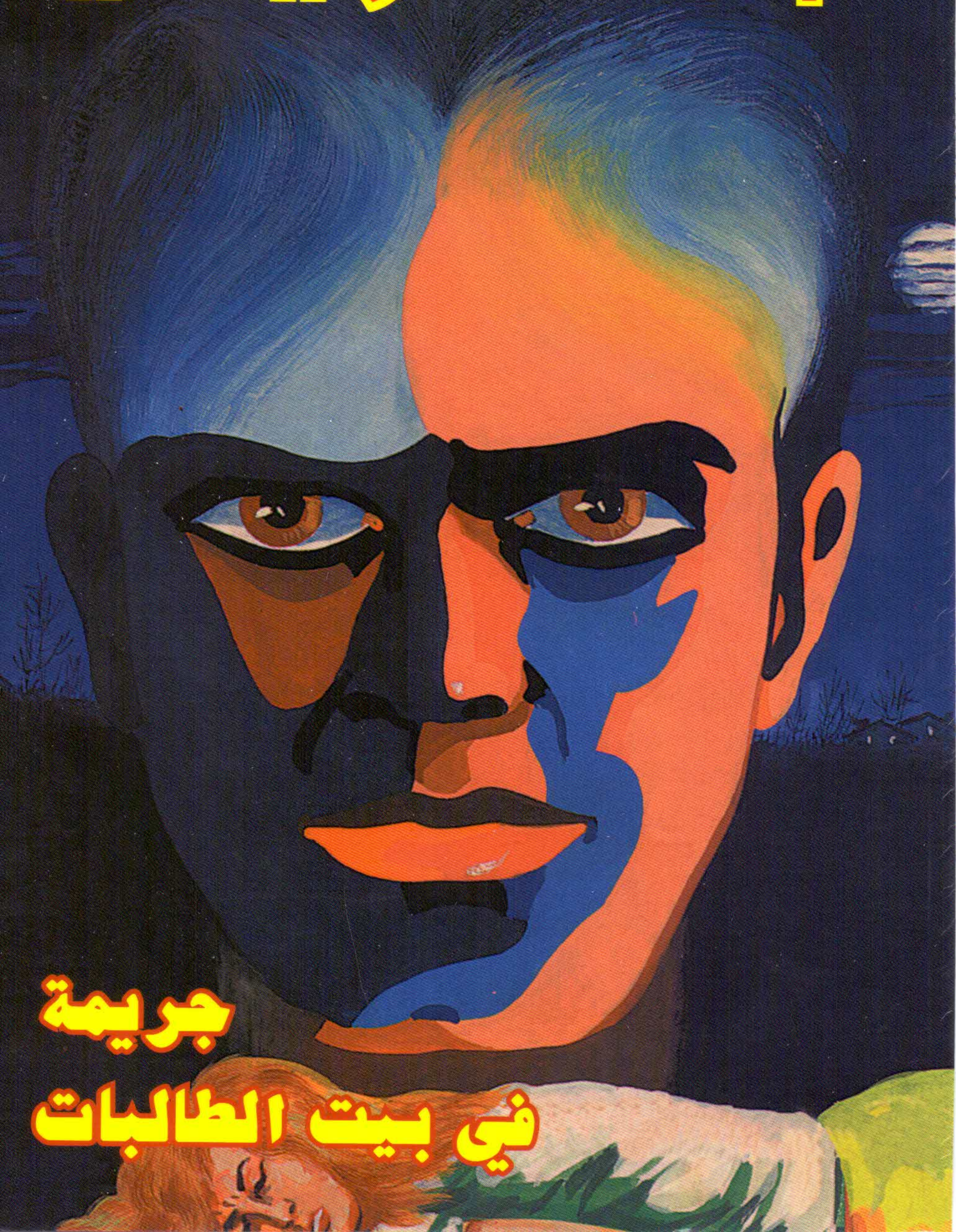
اجاثا كريستي



جريمة في بيت الطالبات

أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جريمة في بيت الطالبات

Hickory Dickory Dock

في بيت من بيوت الطالبات لم يكن «داء السرقة» من تلك الجرائم التي تثير اهتمام «هركيول». ولكن عند مطالعته قائمة المسروقات الغريبة ووجدها كما يلي : سماعة طبيب، وبعض البنطلونات القديمة المصنوعة من القماش الرقيق الناعم، وعلبة شوكولاتة، وقطع بسكويت طولية، وكذلك خاتم من الألماس في صحن شربة ... عندئذ هنّأ «هركيول» حارسة عنبر السجن السيدة «هبارد» على مثل هذه الجريمة العجيبة والفريدة من نوعها . تأمل «هركيول» جريمة السرقة التي وقعت في أحد بيوت الطالبات وتساءل متعجبا إذا كانت هي مجرد حادثة سرقة صغيرة لا خوف منها فلماذا تشعر كل طالبة هناك بالهلع الشديد؟

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	1.5 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953381666
9789953381664

جريمة في بيت الطالبات

- 3 -

بونارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

جريمة في بيت الطالبات

(25)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب الراحل

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تأليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية

Hickory Dickory Dock

(1955)

الغلاف بريشة الفنان

غنطوس

- 1 -

هتف "**بوارو**" وهو مقطب الجبين :

– الآنسة " **ليمون** " .. !!

– نعم يا سيد "**بوارو**" .

– يوجد في هذه الرسالة ثلاثة أخطاء .

كان صوته صوت إنسان لا يصدق ما يرى ؛ إذ لم يحدث قط للآنسة "**ليمون**"– تلك المرأة الدميمة العظيمة الكتابة – أنها توعكت أو تعبت أو انزعجت أو تنكبت الدقة التامة في كل ما تقول أو تفعل ..

لم تكن امرأة .. بل كانت آلة دقيقة .. كانت السكرتيرة البارعة المبرأة من كل عيب ، فهي تعرف كل شيء ، وتحسن التصرف في كل موقف ، وتنوب عن "**بوارو**" في تنظيم حياته .. حتى جعلتها كالساعة الدقيقة ..

وبفضل "**جورج**" الخادم الخاص ، والآنسة "**ليمون**" السكرتيرة أصبحت الدقة والنظام هما الطابع البارز في حياة رجل البوليس السري البلچيكي القصير القامة.

ومع ذلك فإن الآنسة "**ليمون**" قد أخطأت ثلاث مرات في تلك الرسالة البسيطة... وأدهى من ذلك أنها لم تفطن إلى الأخطاء .

وبسط "**بوارو**" يده بالرسالة .

لم يكن منزعجًا .. بل كان دهشًا لأن شيئًا غير ممكن الحدوث قد حدث بالفعل.

وتناولت الآنسة "**ليمون**" الرسالة ونظرت إليها ، ولأول مرة في حياته رأى "**بوارو**" حمرة الخجل تعلو وجهها الدميم .

قالت :

– يا إلهي .. !! لا أعلم كيف حدث هذا ولكن لا .. إنني أعلم .. لقد حدث هذا بسبب أختي .

– أختك .. ؟

وكانت مفاجأة جديدة ، فإن "**بوارو**" لم يتصور قط أن للآنسة "**ليمون**" أختًا ، بل لم يتصور أن لها أبًا أو أمًا أو جدًا .. فهي آلة من تلك الآلات التي ليس لها

انتماء ، ولا يمكن أن تكون لها عواطف أو متاعب عائلية .. وكان يعلم أن ليس هناك ما يشغلها بعد العمل سوى الاهتمام بتطوير نظام جديد لحفظ الأوراق وكان في نيتها أن تسجله وتطلق عليه اسمها .

ردد "**بوارو**" في دهشة :

– أختك .. ؟

– نعم .. وأعتقد أنني لم أحدثك عنها . إنها قضت كل حياتها في "**سنغافورة**" وكان زوجها يعمل في تجارة المطاط .

فهز "**بوارو**" رأسه مؤمنًا .. خيل إليه أن من المعقول والطبيعي أن تقضي أخت الآنسة "**ليمون**" جل حياتها في "**سنغافورة**" فما وجدت "**سنغافورة**" ومثيلاتها إلا لذلك .

واستطردت الآنسة "**ليمون**" قائلة :

– إنها ترملت منذ أربعة أعوام ولم تنجب ، وقد استطعت أن أجد لها شقة صغيرة جميلة بإيجار معقول . وكان بوسعها مع شيء من حسن التصرف أن تعيش بإيرادها المحدود حياة سهلة ميسرة .

وصمتت الآنسة "**ليمون**" قليلاً ثم قالت :

– كان ذلك أول عهدها بالإقامة في "**إنجلترا**" ولم يكن لها أصدقاء أو معارف فأحست بالوحدة والسأم ، وصارحتني منذ نحو ستة أشهر برغبتها في شغل هذه الوظيفة ..

– أية وظيفة .. ؟

– وظيفة مشرفة في بيت الطالبات تملكه سيدة نصف يونانية كانت بحاجة إلى من ينوب عنها في إدارة البيت ، والإشراف على وجبات الطعام وتهيئة الجو المناسب للنزيلات والنزلاء ، ومقر هذا البيت في قصر قديم بشارع "**هيكوري**" في حي كان في وقت ما من أرقى أحياء المنطقة . وكان المفهوم أن تقيم أختي في جناح خاص يتألف من غرفة للنوم وأخرى للاستقبال وحمام ومطبخ .

وصمتت الآنسة "**ليمون**" مرة أخرى ، ونظر إليها "**بوارو**" مشجعًا فاستطردت

قائلة :

– أنا شخصيًا لم أكن راضية عن هذه الوظيفة ولكني اقتنعت بوجهة نظر أختي ، فهي امرأة لم تتعود الجلوس طوال اليوم مكتوفة اليدين ، ثم إنها عملية وبارعة في الإدارة والتنظيم .. ولم يكن في نيتها بطبيعة الحال أن تستثمر في هذا العمل شيئًا من مالها .. كانت فكرتها أن تقبل الوظيفة وتتناول مرتبها . وهو مرتب ضئيل ولكنها لم تكن بحاجة إلى المال .. يضاف إلى ذلك أن العمل لم يكن يتطلب مجهودًا كبيرًا . ثم إنها كانت دائمًا تحب الشباب وتعاملهم برفق .. وقد عاشت في الشرق مدة طويلة .. فأصبحت تعرف الكثير عن الخلافات العنصرية .. ذلك أن نزلاء البيت خليط من جنسيات مختلفة .. وأكثرهم من الإنجليز .. ولكن بينهم – فيما فهمت – عددًا من الزنوج والملونين .

– هذا أمر طبيعي ..

– إن نصف الممرضات في مستشفياتنا في هذه الأيام زنجيات، وقد قيل لي إنهن أظرف وأكثر رعاية للمرضى من الممرضات الإنجليزيات .. ولكن هذا موضوع آخر.. المهم أننا بحثنا الأمر مليًا وقبلت أختي الوظيفة .. ولم نعبأ كثيرًا بالسيدة "**نيكوليتس**" صاحبة البيت .. وهي امرأة متقلبة المزاج تبدو لطيفة حينًا ومزعجة في أكثر الأحيان ، ومن المؤكد أنها على شيء من المقدرة والكفاية وإلا ما شعرت بالحاجة إلى من يعاونها في إدارة البيت .

– إذن فقد قبلت أختك الوظيفة .. ؟

– نعم ، وقد انتقلت إلى ذلك البيت منذ ستة أشهر ووجدت العمل فيه مسلّيًا .

وإلى هنا لم يجد "**بوارو**" في مغامرة أخت سكرتيرته ما يثير .

واستطردت الآنسة "**ليمون**" قائلة :

– ولكنها في الفترة الأخيرة بدأت تشعر بقلق بالغ .

– لماذا .. ؟

– حدثت أمور لم تعجبها ..

– هل نزلاء الفندق من الجنسين ؟

– لا أعني ذلك يا سيد "بوارو" .. المتاعب التي من هذا القبيل يمكن توقعها ومواجهتها .. ولكن ما حدث هو أن أشياء كثيرة اختفت .

– اختفت .. ؟

– نعم .. أشياء مختلفة اختفت بطريقة غير طبيعية .

– تعنين أنها سرقت .. ؟

– نعم ..

– هل أخطرت رجال البوليس ؟

– لا .. أختي ترى أنه ربما لا يكون هناك ما يدعو إلى ذلك .. إنها تحب أولئك الفتيان والفتيات .. أو بعضهم على الأقل وتفضل أن تعالج الأمر بنفسها .

– إنني أفهم وجهة نظرها .. ولكني لا أفهم معنى قلقك الذي أعتقد أنه انعكاس لقلق أختك .

– أنا لست راضية عن الموقف يا سيد "بوارو" ، ولا أتمالك نفسي من الإحساس بأن هناك أموراً تحدث ولا أستطيع أن أفهمها أو أن أجد لها إيضاحاً معقولاً .

– ألا يمكن أن يكون الأمر ليس سوى سرقات بسيطة ؟أو أن يكون أحد النزلاء مصاباً بمرض السرقة ؟

– لا أظن ذلك .. لقد قرأت عن مرض السرقة في دائرة المعارف البريطانية وفي بعض المراجع الطبية ، ولكني لم أقتنع .

فاطرق "بوارو" برأسه مفكراً .. ثم قال :

– ما قولك في أن توجهي الدعوة إلى أختك لكي تتناول الشاي معنا في أحد الأيام يا آنسة "ليمون" .. ؟ ربما استطعت أن أعاونها ..

– هذا كرم منك يا سيد "بوارو" ..

– إذن فليكن ذلك غداً إذا استطعت تدبير الأمر .

- 2 -

كان الشبه واضحًا بين السيدة "**هبارد**" وشقيقتها الآنسة "**ليمون**" ..

كانت بشرتها أكثر شحوبًا.. وجسمها أكثر ضخامة ، وحركاتها أكثر بطئًا .. ولكن العينين الذكيتين اللتين تطلان من وجهها السمح كانتا نفس العينين اللتين تتألقان وراء نظارة الآنسة "**ليمون**" .

قالت السيدة "**هبارد**" وهي تتناول قدح الشاي :

– هل تعلم يا سيد "**بوارو**" أنك لا تختلف قيد أنملة عن الصورة التي تخيلتها من وصف "**فيليستي**" لك ..؟

فاستولت الحيرة على "**بوارو**" لحظة قبل أن يدرك أن "**فيليستي**" هو اسم الآنسة "**ليمون**" .. وأجاب :

– لا عجب في ذلك متى وضعنا في الاعتبار ما نعرفه عن دقة الآنسة "**ليمون**" .

فقالت السيدة "**هبارد**" وهي تتناول إحدى الشطائر :

– إن "**فيليستي**" لا تهتم بأمور الناس ولكني على النقيض منها ، وذلك هو سبب انزعاجي ..

– هل تستطيعين أن توضحي لي ماذا يزعجك يا سيدة "**هبارد**" .. ؟

– نعم أستطيع .. إن من الطبيعي والمفهوم أن تختفي بعض النقود أو بعض الجواهر حين يكون هناك إنسان غير أمين أو إنسان مصاب بمرض السرقة . ولكن الأشياء التي اختفت .. أظن أنه يحسن بي أن أتلو عليك القائمة التي تتضمنها .

وأخرجت من حقيبتها دفترًا أسود صغيرًا وراحت تقرأ :

– فردة حذاء سهرة .

– سوارعديم القيمة .

– خاتم الماسي (وجد فيما بعد في طبق حساء) .

– علبة مساحيق .

– أصبع صباغ للشفاه .

– سماعة طبيب .

– قرط .

– ولاعة .

– سروال قديم .

– لمبات كهربية .

– علبة شوكولاتة .

– شملة (كوفية) حريرية (وجدت ممزقة) .

– حقيبة من القماش (وجدت ممزقة) .

– مسحوق البوريك .

– أملاح معطرة للاستحمام .

– كتاب طهو .

فتنهد "**بوارو**" وقال :

– يا للطرافة !! دعيني أهنئك يا سيدة "**هبارد**" .

– لماذا يا سيد "**بوارو**" .. ؟

– أهنئك لأن الأقدار وضعت بين يديك مثل هذه المعضلة الفريدة البديعة .

– لعلها كذلك بالنسبة إليك يا سيد "**بوارو**" .. أما بالنسبة إليّ ..

– إن وجه الطرافة في الموضوع .. هو انعدام الصلة بين هذه الأشياء . ولعل أول ما يجب عمله هو التوفر على دراسة هذه القائمة بعناية فائقة .

وتناول الدفتر الأسود الصغير .. ونظر إلى القائمة ، واستغرق في التفكير .. بينما راحت السيدة "**هبارد**" تحملق إليه بمثل اهتمام الطفل حين ينظر إلى المشعوذ، ويتوقع في أية لحظة أن يخرج المشعوذ من قبعته أرنبًا ..أو مجموعة من الخيوط الملونة .

وأخيرًا تكلم "**بوارو**" .. قال :

– إن أول ما يلفت نظري في هذه القائمة .. هو أن جميع الأشياء التي اختفت – باستثناء سماعة الطبيب والخاتم الألماسي – أشياء تافهة .. فلنترك السماعة الآن جانبًا ولنفكر في الخاتم .. هل هو خاتم ثمين .. ؟ كم يبلغ ثمنه..؟

– لا أعلم يا سيد "**بوارو**" .. إنه خاتم ذو الماسة يحيط بها عدد من الألماسات الصغيرة .. وقد فهمت من صاحبته الآنسة "**باتريشيا لين**" أنه خاتم خطبة أمها . وقد أزعجها اختفاؤه .. ولكننا تنفسنا الصعداء حين وجد الخاتم في نفس المساء في طبق حساء الآنسة "**هوبهاوس**" .. واعتقدنا أنها ليست سوى دعابة سمجة .

– ربما كانت كذلك .. ولكنني شخصياً أعتقد أن سرقة الخاتم وإعادته لا تخلوان من مغزى .. إن اختفاء علبة بودرة أو أصبع صباغ أو كتاب هو أمر لا يستوجب إبلاغ البوليس .. أما اختفاء خاتم ثمين فيختلف عن ذلك .. إنه كان يمكن أن يؤدي إلى تدخل رجال البوليس .. ولذلك أعيد .

فقالت الآنسة "**ليمون**" :

– ولكن لماذا سرق ما دام في نية السارق أن يعيده ؟

فقال "**بوارو**" :

– نعم ..لماذا .. ؟ ولكن يحسن بنا في هذه المرحلة أن نترك الأسئلة .. إن ما يهمني في الوقت الحاضر هو تصنيف الأشياء المسروقة .. وقد بدأت بالخاتم .. ماذا تعرفين عن الآنسة "**باتريشيا لين**" .. صاحبة الخاتم ؟

– "**باتريشيا لين**" .. ؟ إنها فتاة ظريفة جداً .. تواصل دراستها للحصول على دبلوم في التاريخ .. أو الآثار القديمة .. أو شيء من هذا القبيل .

– هل هي غنية ؟

– لا .. إن لها إيراداً صغيراً ولكنها حريصة في إنفاقها .. ولديها ما عدا الخاتم قطعة أو قطعتان من الحليّ . ولكن ليس لديها ثياب جديدة .. وقد أقلعت عن التدخين أخيراً

– هل يمكنك أن تصفيها لي ؟

– إنها متوسطة القامة .. ليست شقراء ولا سمراء ، ولكن بين بين . وهي رصينة هادئة الطباع .

– قلت إن الخاتم وجد في طبق حساء الآنسة "**هوبهاوس**" .

– من الآنسة "**هوبهاوس**" .. ؟

– "**فاليري هوبهاوس**" .. ؟ إنها فتاة سمراء بارعة تميل في حديثها إلى السخرية.. وهي تعمل في صالون للتجميل يسمى صالون "**سابرينا**" .. أعتقد أنك سمعت عنه .

– وهل بين الفتاتين صلة صداقة ؟

ففكرت السيدة "**هبارد**" قليلاً ثم قالت :

– أظن ذلك .. إن لـ"**باتريشيا**" صلات طيبة مع الجميع . أما "**فاليري هوبهاوس**" فلها بعض الأعداء بسبب سلاطة لسانها ، ولكن لها كذلك بعض الأصدقاء .. أظن أنك فهمت ما أعني ..

– نعم .. فهمت .

*****

إذن فـ"**باتريشيا لين**" فتاة ظريفة ولكنها عادية .. أما "**فاليري هوبهاوس**" ففتاة لها شخصيتها ..

قال "**بوارو**" مستطرداً دراسته لقائمة المسروقات :

– إن ما يحيرني هو اختلاف نوعية هذه المسروقات ...إن بينها أشياء تافهة قد تغري بسرقتها فتاة فقيرة تحب الظهور ، كالحليّ الزائفة ، وعلبة البودرة ، وصباغ الشفاه ، والأملاح المعطرة، وعلبة الشوكولاتة، ولكن توجد كذلك سماعة الطبيب.. وهذه لا يقدم على سرقتها سوى رجل يعرف أين يبيعها أو يرهنها ..

– من كان صاحب هذه السماعة ؟

– السيد "**بيتسون**" .. .وهو شاب ضخم الجسم ، دمث الخلق .

– هل هو طالب طب .. ؟

– نعم .

– وهل أغضبه فقد سماعته .. ؟

– إنه سريع الغضب بطبيعته .. ولكنه سرعان ما يهدأ ويصفو .. بيد أنه ليس من الطراز الذي لا يكترث لسرقة أشيائه .

– ومن الذي لا يكترث .. ؟

– هناك مثلاً الطالب الهندي "**جوبال رام**" .. إنه يبتسم في كل المواقف ، ويلوح بيده بقلة اكتراث قائلاً إن كل الممتلكات المادية لا تهم .

– هل سرق منه شيء ؟

– لا ..

– آه .. ومن صاحب السروال . ؟

– السيد "**ماكناب**" .. وكان السروال من القدم حتى لا يعبأ أي إنسان آخر بفقده .. ولكن السيد "**ماكناب**" شديد الحرص على ثيابه القديمة ولا يفرط في شيء منها .

– لنستعرض الآن جميع الأشياء التافهة التي لا تستحق السرقة .. كالسروال القديم والمصابيح الكهربائية ومسحوق البوريك والأملاح المعطرة ، وكتاب الطهو. قد يكون لهذه الأشياء بعض الأهمية، ولكن أكبر الظن أنها عديمة القيمة .. فمسحوق البوريك يمكن أن يكون قد نقل من مكانه بطريق الخطأ .. والمصابيح الكهربائية ربما كانت تالفة .. فأخذها بعضهم لاستبدال غيرها بها، ثم نسي أن يفعل ذلك . وكتاب الطهو يحتمل أن أحدهم استعاره ولم يرده .. والسروال القديم ربما أخذته إحدى الخادمات .

– إننا نستخدم في أعمال النظافة امرأتين نشهد لهما بالأمانة .، ويستحيل أن تأخذ إحداهما شيئاً بدون استئذان .

– ربما كنت على حق .. لننتقل الآن إلى موضوع فردة حذاء السهرة .. من صاحبة الحذاء ؟

– "**سالي فينش**" .. وهي فتاة أمريكية تتلقى علومها هنا في بعثة "**فولبرايت**" .

– هل أنت واثقة بأن هذه الفردة لم توضع في مكان ما .. ؟ إن فردة واحدة لا يمكن أن تفيد أحداً .

– لقد بحثنا في كل مكان يا سيد "**بوارو**" .. والواقع أن الآنسة "**فينش**" كانت

مدعوة إلى حفلة وكان ثوبها يتطلب حذاء للسهرة ولم يكن لديها حذاء سواه .

– لابد أنها أحست بالضيق .

وصمت قليلا ثم قال :

– يبقى موضوع حقيبة القماش والشملة الحريرية اللتين وجدتا ممزقتين .. إن الدافع هنا ليس الغرور أو الطمع ولكنه الحقد .. من صاحب الحقيبة ؟

– جميع الطلبة تقريبًا يملكون حقائب من قماش للرحلات ..وكل الحقائب متشابهة .. ومصدرها محل واحد .. ومن المتعذر التفريق بينها ، ولكن يكاد يكون من المؤكد أن الحقيبة الممزقة هي حقيبة "**ليونارد بيتسون**" ، أو "**كولين ماكناب**" .

– والشملة الحريرية ؟

– إنها شملة "**فاليري هوبهاوس**" ، جاءتها هدية بمناسبة عيد الميلاد ، شملة خضراء اللون ومن نوع جيد .

فتمتم "**بوارو**" قائلاً كمن يحدث نفسه :

– "**فاليري هوبهاوس**" .. !!

وأغمض عينيه .. وراح يستعرض في ذهنه أشياء لا رابط بينها ولا صلة .. حقائب من قماش وصباغًا للشفاه ، وأملاحًا معطرة ، وكتبًا للطهو .. وسراويل وشملات ..

وفكر .. لابد أن تكون هناك صلة ما بين هذه الأشياء .. أو بعضها . بل ربما كانت هناك صلات عديدة .. ولكن المسألة هي : من أين يبدأ ؟

وأخيرًا فتح عينيه وقال :

– إن الأمر يتطلب تفكيرًا عميقًا ..

فقالت السيدة "**هبارد**" بحدة :

– نعم .. أنا واثقة بذلك يا سيد "**بوارو**" .. والواقع أنه لم يكن بودي أن أزعجك .

– ليس ثمة أي إزعاج .. إن الأمر يثير فضولي .. والرأي عندي أن نبدأ بالناحية

العملية .. لنبدأ مثلاً بالحذاء .. أعني حذاء السهرة .. نعم .. إننا سنبدأ بالحذاء يا آنسة "**ليمون**" .

فاعتدلت الآنسة "**ليمون**" في جلستها وتناولت قلماً ، واستطرد "**بوارو**" قائلاً :

- ربما كان في استطاعة السيدة "**هبارد**" أن تأتيك بفردة الحذاء التي بقيت .. اذهبي بها إلى مكتب الأشياء المفقودة بمحطة شارع "**بيكر**" .. متى فقدت فردة الحذاء يا سيدة "**هبارد**" ؟

ففكرت هذه الأخيرة طويلاً وأجابت :

- لا أستطيع الآن أن أذكر ذلك على وجه التحديد يا سيد "**بوارو**" .. ولكن في استطاعتي أن أسأل "**سالي فينش**" عن موعد الحفلة .

- حسناً ..

ثم تحول إلى الآنسة "**ليمون**" وقال :

- في مقدورك أن تدلي ببيانات مبهمة .. قولي إنك نسيت فردة الحذاء في القطار الدائري أو في الحافلة .. كم عدد خطوط الحافلات التي تمر بشارع "**هيكوري**" ؟

- اثنان فقط يا سيد "**بوارو**" ..

- حسناً .. وإذا لم تظفري بنتيجة في محطة شارع "**بيكر**" فاذهبي إلى "**اسكتلانديارد**" . وازعمي أنك تركت الحذاء في إحدى السيارات الأجرة .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

- ولكن ماذا يحملك على الظن بأن ..

فلم يدعها "**بوارو**" تتم عبارتها وقاطعها بقوله :

- لننتظر النتيجة أولاً .. وسواء أكانت بالإيجاب أم بالسلب ، فإننا يجب أن نلتقي مرة أخرى للتشاور يا سيدة "**هبارد**" . وعندئذ يجب أن تذكري لي جميع الحقائق الصغيرة المهمة التي ينبغي لي أن أعرفها .

- أظن أنني ذكرت لك كل ما أعرفه .

- لا .. لا .. إن في ذلك البيت خليطاً من الشباب المختلف الجنسيات

والأمزجة.. هناك مثلاً فلان الذي يحب فلانة ، وفلانة التي تغار من زميلتها أو تحقد عليها .. أريد أن أعرف حقيقة العلاقات الإنسانية بين نزلاء البيت .. أنواع الصداقة والعداوة والأحقاد والمنافسات والشرور والخلافات التي يزخر بها هذا المجتمع الصغير .

– ولكني لا أعرف شيئًا عن ذلك ياسيد "**بوارو**" .. إنني لا أختلط بهم .. وعملي مقصور على إدارة البيت وتنظيم وجبات الطعام ..

– ذكرت لي بنفسك أنك تحبين الشباب وتهتمين بأمورهم ، وقد قيل لي إنك لم تقبلي هذه الوظيفة من أجل المال بل للاتصال بالمشكلات الإنسانية في بيئة الشباب .. ومن المؤكد أن بين نزلاء البيت من تميلين إليه .. كما أن بينهم من يثير نفورك .. نعم .. إنك ستحدثينني عن كل ذلك .. لأنك منزعجة ، لا بسبب ما حدث ..فقد كان في مقدورك أن تبلغي الشرطة ، ولكن ..

– لم أبلغ رجال الشرطة لأن السيدة "**نيكوليتس**" ، صاحبة البيت لم تشأ أن يتدخل البوليس في الموضوع .

فلوح "**بوارو**" بيده كمن يستبعد هذا الرأي وقال :

– لا .. إنك منزعجة من أجل شخص بعينه .. شخص تظنين أنه ربما كان المسؤول عما حدث.. شخص تحبينه .

– هذا صحيح يا سيد "**بوارو**" .

– نعم .. هذا صحيح .. وأعتقد أن لك كل الحق في أن تنزعجي ..

- 3 -

فتحت السيدة "**هبارد**" باب بيت الطالبات بمفتاح معها ، ولم تكد ترقى السلم حتى لحق بها شاب طويل القامة أحمر شعر الرأس .

صاح الشاب :

– مرحبًا أيتها الأم .. هل كنت في نزهة ؟

كان المتكلم هو "**ليونارد بيتسون**" ، وهو شاب لطيف مبرأ من جميع العقد ومركبات النقص .

وأجابته السيدة "**هبارد**" :

– بل كنت مدعوة لتناول الشاي يا سيد "**بيتسون**" . أرجوك ألا تعوقني .. فقد تأخرت بالفعل .

– إنني شرَّحت اليوم جثة رائعة ..

– لا تكن مزعجًا أيها الشاب الخبيث .. جثة رائعة حقًّا .. لقد جعلت بدني يقشعر .

فاطلق "**بيتسون**" ضحكة تردد صداها في أنحاء البهو .. وقال :

– إن ذلك ما أصاب "**سيليا**" .. لقد ذهبت إليها في الصيدلية وقلت لها : "إنني جئت لأحدثك عن جثة" ..ففر لونها وكادت تسقط مغمى عليها .. فما رأيك في ذلك يا سيدة "**هبارد**" .؟

– لا عجب .. فربما ظنت المسكينة أنك تتحدث عن جثة حقيقية ..

– ماذا تعنين ؟ بالطبع كنت أتحدث عن جثة حقيقية .. هل تظنين أننا نمارس التشريح في جثة مصنوعة ؟

وفي هذه اللحظة فتح باب إلى اليمين وأطل منه رأس شعث الشعر قال صاحبه محدثًا "**بيتسون**" :

– أهذا أنت ؟ ظننت أن هناك ستة رجال .. إن صوتك صوت رجل واحد .. ولكنه يدوي كأصوات عشرة رجال .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– أرجو ألا يكون قد أزعجك يا "**نيجل**" .

فأجاب "**نيجل شابمان**" :

– ليس أكثر من المعتاد .

واختفى داخل غرفته .. فقال "**بيتسون**" :

– يا له من شاب رقيق .. !!

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– تجمل بسعة الصدر يا فتى .. فلست أحب أن تتشاحنا .

وظهرت على درج السلم في هذه اللحظة فتاة ما إن وقع بصرها على السيدة "**هبارد**" حتى هتفت :

– أهذه أنت يا سيدة "**هبارد**" .. ؟ إن السيدة "**نيكوليتس**" في غرفتها وقد قالت إنها تريد أن تراك حالما تعودين .

فتنهدت السيدة "**هبارد**" وشرعت في ارتقاء درج السلم إلى الطابق الثاني ، وأفسحت لها الفتاة الطريق لكي تمر .

كانت الفتاة طويلة القامة سمراء البشرة فقال لها "**بيتسون**" وهو يخلع معطفه :

– ماذا حدث يا "**فاليري**" .. ؟ هل تلقت السيدة "**نيكوليتس**" رسالة للسيدة "**هبارد**" .. ؟

فهزت الفتاة كتفيها الجميلتين وواصلت هبوط السلم وقالت وهي تجتاز البهو :

– لقد أصبح هذا البيت أشبه بمستشفى المجانين .

وواصلت سيرها بتلك الرشاقة الجريئة التي تميز المحترفات من عارضات الأزياء ، ودخلت إحدى الغرف المطلة على البهو .

*****

كان رقم 26 بشارع "**هيكوري**" يتألف في الواقع من بيتين شبه منفصلين ، وقد أزيلت الفواصل بين طابقيهما الأرضيين لكي تتألف منهما قاعة فسيحة للجلوس وأخرى للطعام .. وظل درج السلم في كل من البيتين منفصلاً عن الآخر .. لكي يؤدي أحدهما إلى غرف نوم الفتيات ، ويؤدي الآخر إلى عنبر نوم الفتيان .

*****

وارتقت السيدة "**هبارد**" درج السلم ، وقصدت إلى غرفة السيدة "**نيكوليتس**" وطرقت بابها ودخلت وهي تقول لنفسها :"لا شك في أنني سأجدها في إحدى نوبات غضبها !!" .

*****

كان جو الغرفة خانقًا فالنوافذ مغلقة ، والمدفأة الكهربية تعمل بكل طاقتها وقد جلست السيدة" **نيكوليتس**" على إحدى الأرائك وسط عدد من الوسائد الحريرية وراحت تدخن .

كانت امرأة ضخمة، سمراء، واسعة العينين، على وجهها مسحة من جمال أذبلته السنون ..

هتفت حالما وقع بصرها على السيدة "**هبارد**" :

– إذن فقد عدت أخيراً . ؟

فأجابت السيدة "**هبارد**" بالهدوء المأثور عن آل "**ليمون**" :

– نعم .. لقد عدت وقيل لي إنك تريدين مقابلتي .

– نعم .. أردت مقابلتك .. فهذا أمر مخيف لا يحتمل ..

– أي أمر تعنين ؟

– هذه الفواتير .. !!

وأخرجت من تحت إحدى الوسائد رزمة من الفواتير واستطردت قائلة :

– ماذا تطعمين هؤلاء الطلبة والطالبات ؟ زبداً ودجاجًا وشواء ؟ أهذا فندق "**ريتز**" .. ؟ من يظنون أنفسهم .. ؟

– إنهم شباب و يتمتعون بشهية جيدة .. يتناولون وجبة فطور كاملة ووجبة عشاء عادية .. طعام بسيط ولكنه مغذ .. ومعقول اقتصاديًّا .

– معقول اقتصاديًّا ؟ أتجسرين على أن تقولي ذلك لي ؟ إنه سيؤدي بي إلى الإفلاس .

– هذا المكان يدر عليك ربحًا وفيرًا يا سيدة "**نيكوليتس**" . والأجور مرتفعة

بالنسبة إلى الطلاب .

– ولماذا لا تكون الأجور مرتفعة ؟ أليست الغرف كلها مشغولة بصفة دائمة ؟ أليست طلبات الالتحاق ثلاثة أضعاف الأماكن الخالية ؟ ألا يتنافس المجلس البريطاني وجامعة "**لندن**" والليسيه الفرنسية في الحصول على أماكن للطلاب عندنا.. ؟

– ذلك يرجع غالبًا إلى جودة الطعام ووفرته .

– ولكن هذه الفواتير غير معقولة .. إن تلك الطاهية الإيطالية وزوجها يسرقانك.

– لا يا سيدة "**نيكوليتس**" .. أؤكد لك أنه لا يوجد أجنبي يستطيع أن يسرقني.

– إذن فأنت التي تسرقينني .

فأجابت السيدة "**هبارد**" بدون أن يتخلى عنها هدوؤها :

– لا أسمح لك بأن تقولي كلامًا كهذا .. مثل هذه الألفاظ قد تجلب لك المتاعب يومًا ما .

فصاحت السيدة "**نيكوليتس**" وهي تطوح بالفواتير في الهواء :

– أنت تثيرينني .. !!

– إن الانفعال يضرك يا سيدة "**نيكوليتس**" .. إنه يزيد من ضغط الدم .

– ألا تعترفين بأن قيمة هذه الفواتير تربو كثيرًا على قيمة الأسبوع الماضي ؟

– بلى... بالتأكيد .. والسبب أنني وجدت تخفيضًا كبيرًا في أسعار مخازن "**لامبسون**" فانتهزت الفرصة .. وسوف تجدين قيمة فواتير الأسبوع القادم أقل من المتوسط .

– إنك تجدين جوابًا مقنعًا لكل سؤال .

فقالت السيدة "**هبارد**" وهي تجمع الفواتير المبعثرة وتضعها بنظام على المنضدة:

– هل ثمة أسئلة أخرى ؟

– تلك الفتاة الأمريكية .. "**سالي فينش**" .. إنها تعتزم الرحيل .. وأنا لا أريدها

أن ترحل. إنها في بعثة "**فولبرايت**" .. ووجودها هنا يشجع غيرها من طالبات البعثة على طلب الإقامة هنا .. ولذلك يجب ألا ترحل .

– وما سبب رغبتها في الرحيل ؟

– لست أذكر .. ولكني على يقين من أنها أسباب مفتعلة .

– إنها لم تحدثني في هذا الموضوع ..

– إذن عليك أنت أن تتحدثي إليها .

– سوف أفعل ذلك .

– إذاكان السبب هو وجود الطلاب الملونين .. أعني أولئك الهنود والزنوج .. فيجب طردهم جميعًا .. هل فهمت .. ؟ إن التفرقة لها أهميتها عند هؤلاء الأمريكيين .. والأمريكيون أهم عندي من الملونين .

– أنت مخطئة يا سيدة "**نيكوليتس**" .. فالتفرقة لا وجود لها بين الطالبات والطلبة في هذا البيت . ومن المؤكد أن "**سالي فينش**" ليست ممن يقمن وزنًا لهذا الموضوع .. والدليل على ذلك أنها والسيد "**أكيبومبو**" يتناولان الطعام معًا في أغلب الأحيان .. وليس بين النزلاء من هو أشد سوادًا من "**أكيبومبو**" .

– إذن لعلها تضيق بالشيوعيين .. أنت تعرفين شعور الأمريكيين نحو الشيوعيين.. وأنا أعتقد أن "**نيجل شابمان**" شيوعي .

– لا أظن ذلك .

– نعم .. نعم .. إنه شيوعي .. لو أنك سمعت ما قاله منذ أيام لأيقنت بأنه شيوعي .

– إن "**نيجل**" كثيرًا ما يقول كلامًا لا لسبب سوى الرغبة في مضايقة الآخرين ..

– أنت تعرفينهم جميعًا حق المعرفة يا عزيزتي السيدة "**هبارد**" .. الواقع أنك امرأة مدهشة .. وكثيرًا ما قلت لنفسي ماذا سيكون مصيري بدون السيدة "**هبارد**" ؟ !

فتنهدت السيدة "**هبارد**" ولم تجب ..

✽✽✽✽✽

وبعد قليل ، قصدت السيدة "**هبارد**" إلى غرفتها ولكنها لم تكد تدخلها حتى وجدت في انتظارها فتاة طويلة القامة سمراء البشرة .

ونهضت الفتاة حينما رأتها وقالت بصوت متهدج :

– أريد أن أتحدث إليك بضع دقائق يا سيدة "**هبارد**" .

– بالطبع.. بالطبع يا "**إليزابيث**" .

ولم تخف السيدة "**هبارد**" دهشتها ..

كانت "**إليزابيث جونستون**" قد قدمت من جزر "**الهند الغربية**" لدراسة القانون، وهي فتاة جادة طموح ، عرفت عنها السيدة "**هبارد**" الاتزان والانطواء وكانت تعدها من أفضل نزيلات البيت؛ ولذلك دهشت حين لاحظت اضطراب صوتها وإن لم يبد على وجهها ما يدل على الانفعال .

سألتها :

– هل حدث شيء يا "**إليزابيث**" .. ؟

– نعم .. وأرجو أن تأتي معي إلى غرفتي .

– صبرًا لحظة .

وخلعت السيدة "**هبارد**" معطفها وقفازها ، وتبعت الفتاة إلى غرفتها في الطابق الثاني .

وفتحت الفتاة باب الغرفة وقصدت إلى منضدة على مقربة من النافذة وقالت :

– هذه أوراقي ومذكراتي وهي حصيلة دراسة وجهود عدة شهور . فانظري مافعلوا بها .

فحبست السيدة "**هبارد**" أنفاسها وجمدت في مكانها .. كان واضحًا أن بعضهم سكب زجاجة من المداد (الحبر) على الأوراق والمذكرات فأغرقتها وطمستها تمامًا ..

ولمست السيدة "**هبارد**" الأوراق بأناملها .. ووجدت أنها لا تزال مبتلة .. سألت وهي تشعر بسخف سؤالها :

– ألم تسكبي أنت المداد ؟

– نعم، لم أسكبه .. فقد سكب في غيابي .

– ألا يحتمل أن تكون الخادمة التي ..

فقاطعتها "**إليزابيث**" قائلة :

– لا .. إنها ليست الخادمة .. وهذا المداد ليس مدادي .. ها هي محبرتي على الرف بجوار الفراش .. إن من فعل ذلك قد أحضر المداد معه وسكبه عمداً على أوراقي .

– يا له من عمل شنيع .. !!

– نعم .. إنه عمل بشع وشرير ..

وكانت الفتاة تتكلم بهدوء .. ولكن السيدة "**هبارد**" لم تسئ تقدير الغضب الذي يعتمل في أعماقها .

قالت :

– الواقع أنني لا أعرف ماذا يجب أن أقول يا "**إليزابيث**" . إنني في أشد حالات الانزعاج .. ولكنني سأبذل قصارى جهدي لمعرفة من فعل هذا .. هل لديك أنت أية فكرة عن الفاعل ؟

فأجابت الفتاة على الفور :

– إن المداد أخضر اللون كما ترين .

– نعم .

– والمداد الأخضر ليس شائع الاستعمال . وليس هنا من يستعمله سوى "**نيجل شابمان**" .

– "**نيجل شابمان**" ؟ أتظنين أنه يفعل شيئًا كهذا ؟

– ما كان يجب أن أظن ذلك لولا أنه يكتب رسائله ومذكراته بالمداد الأخضر.

– يؤسفني أن يحدث شيء كهذا يا "**إليزابيث**" .. ولكنني أعدك بأن أفعل كل ما بوسعي لمعرفة المسؤول .

– شكراً لك يا سيدة "**هبارد**" .. إن أشياء أخرى قد حدثت في هذا البيت .. أليس كذلك ؟

– بلى ..

وغادرت السيدة "**هبارد**" الغرفة ، وهمت بالنزول ثم توقفت فجأة ودارت على عقبيها وسارت في الدهليز حتى انتهت إلى باب في آخره فطرقته .. وسمعت صوت "**سالي فينش**" تدعوها للدخول .

وكانت غرفة "**سالي**" فسيحة خفيفة الظل كصاحبتها . وكانت الفتاة منهمكة في الكتابة فرفعت رأسها ومدت يدها إلى علبة حلوى وقالت بطريقة آلية :

– هذه حلوى من "**أمريكا**" .. هل لك في شيء منها ؟

– شكرًا لك يا "**سالي**" .. ليس الآن .. فإنني منزعجة ، هل علمت بما حدث لـ"**إليزابيث جونستون**" .. ؟

– ماذا حدث للسمراء .. ؟

فقصت عليها السيدة "**هبارد**" ما حدث وصاحت الفتاة في غضب واستنكار :

– هذا عمل ينطوي على الضعة ، ولا أستطيع أن أصدق أن هناك من يفعل ذلك بسمرائنا اللطيفة .. إن الجميع يحبونها .. فهي فتاة وديعة منطوية على نفسها ولا أعتقد أن هناك من يكرهها .

– ذلك ما أعتقده أنا أيضًا ..

– هذه الحادثة .. هي إضافة جديدة إلى الحوادث الأخرى التي بسببها ..

وصمتت فجأة ، فقالت السيدة "**هبارد**" :

– ماذا ؟

فأكملت الفتاة عبارتها :

– التي بسببها قررت مغادرة هذا البيت .. ألم تخبرك السيدة "**نيكوليتس**" ..؟

– بلى أخبرتني .. وهي منزعجة وتعتقد أنك لم تذكري لها السبب الحقيقي .

– هذا صحيح .. الواقع أنني لم أشأ أن أثيرها .. أنت تعرفين كم هي سريعة الغضب والانفعال .. السبب الحقيقي هو ما يحدث هنا .. وأعتقد أنه كاف ومقنع .. كان غريبًا حقًا أن أفقد فردة حذائي .. وأن تمزق شملة " **فاليري**" وحقيبة "**ليونارد**" ، ولست أريد التعقيب على السرقات الصغيرة .. فهذه قد

تحدث في كل وقت. إنها عمل لا أخلاقي .. ولكنه مألوف ..

وصمتت لحظة ثم ابتسمت فجأة وقالت :

– إن "أكيبومبو" في حالة هلع .. هو شاب مثقف ومتحضر ولكن بقية من إيمان الإفريقيين بالسحر لا تزال مترسبة في أعماقه .

فقالت السيدة "**هبارد**" بخشونة :

– حديث فيه خرافة .. أنا لا أطيق سماع مثل هذه الترهات .. كل ما في الأمر أن هناك إنسانًا عاديًا أراد أن يجعل من نفسه مصدر إزعاج للآخرين .

ما أريد إبرازه هو كلمة عادي .. فإنني أشعر شعوراً غامضًا بأن في هذا البيت إنسانًا غير عادي .

❁❁❁❁❁

وهبطت السيدة "**هبارد**" درج السلم وقصدت إلى قاعة الجلوس الكبرى في الطابق الأول ، ولم يكن بها في تلك اللحظة سوى أربعة أشخاص : "**فاليري هوبهاوس**" ممددة على أريكة وقدماها الصغيرتان على مسندها ، و"**نيجل شابمان**" أمام إحدى المناضد وبين يديه كتاب ضخم ، و"**باتريشيا لين**" مستندة إلى حافة المدفأة .. وفتاة أخرى ترتدي معطفًا كانت قد قدمت في التو واللحظة. قالت "**فاليري**" في خمول وهي ترفع السيجارة من فمها :

– أهذه أنت يا أماه .. !! هل أعطيت الشيطانة العجوز عقاراً مهدئًا ؟

وقالت "**باتريشيا لين**" :

– إنها كانت متحفزة للقتال ..

فقالت "**فاليري**" وهي تضحك :

– وأي تحفز .. !!

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– لقد وقع حادث مزعج وأريدك يا "**نيجل**" أن تعاونني .

فنظر إليها "**نيجل**" متسائلاً، وقال وقد تألق وجهه النحيل الخبيث بابتسامة

عذبة :

– أنا يا أماه ؟ ماذا فعلت ؟

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– أرجو ألاَّ تكون قد فعلت شيئًا .. لقد سكب بعضهم حبرًا على أوراق "**إليزابيث جونستون**" ومذكراتها عمداً وبسوء نية ، والحبر لونه أخضر .. وأنت تستعمل الحبر الأخضر يا "**نيجل**" .

فحملق إلى وجهها وتلاشت الابتسامة عن شفتيه ، وقال :

– نعم ، أنا أستعمل الحبر الأخضر .

فقالت "**باتريشيا**" :

– إنه حبر منفر .. ولطالما طلبت إليك ألا تستعمله .

فقال " **نيجل**" :

– ربما كان الحبر البنفسجي أفضل .. سأحاول الحصول على حبر بنفسجي . ولكن هل أنت جادة فيما تقولين يا أماه ؟

– نعم .. فهل أنت الذي فعلت ذلك ؟

– لا بالتاكيد .. أنا أحب مداعبة الناس كما تعلمين ولكني لا أقدم على عمل قذر كهذا .. خصوصًا مع السمراء "**إليزابيث**" التي لا تتدخل في شؤون غيرها .. كما يفعل البعض .. ولكن أين محبرتي ؟إنني ملأت قلمي منها ليلة أمس وقد تعودت أن أتركها على الرف هناك ..

ووثب من مكانه واجتاز الغرفة وهتف :

– ها هي .. وتناول زجاجة الحبر ونظر إليها وصفر بشفتيه ، وقال :

– إنك على حق .. فالزجاجة فارغة تقريبًا .. تقريبًا .. بينما يجب أن تكون مليئة .

فهتفت الفتاة ذات المعطف :

– يا إلهي .. هذا مزعج حقًا .

فتحول "**نيجل**" إليها وقال بلهجة التهديد :

– ألست الفاعلة يا "**سيليا**" .. ؟

فشهقت الفتاة وصاحت :

– لا .. أنا لم أفعل ذلك .. ثم إنني كنت في المستشفى طوال النهار ..

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– دع "**سيليا** " وشأنها يا "**نيجل**"

فقالت "**باتريشيا لين**" في غضب :

– لست أعلم لماذا تحوم الشبهات حول "**نيجل**" ؟ هل ذلك لأن بعضهم أخذ محبرته و ..

فقالت "**فاليري**" بخبث :

– نعم .. يجب أن تدافعي عن صغارك أيتها العزيزة .

– ليس من الإنصاف أن ..

وصاحت "**سيليا**" محتجة :

– أؤكد لكم أنني لا شأن لي بهذا الموضوع .

فقالت "**فاليري**" :

– لا أحد يتهمك أيتها الصغيرة ..

ثم التفتت إلى السيدة "**هبارد**" واستطردت قائلة :

– على كل حال ، لقد تجاوز الأمر حدود المزاح ولا بد من عمل شيء .

فقالت السيدة "**هبارد**" في حزم :

– لقد شرعنا في العمل بالفعل .

- 4 -

قالت الآنسة "**ليمون**" وهي تضع أمام "**بوارو**" حزمة صغيرة مغلفة بالورق البني اللون :

– ها هي يا سيد "**بوارو**" .

فأزال "**بوارو**" الغلاف ونظر بإعجاب إلى فردة حذاء السهرة الفضي .

قالت الآنسة "**ليمون**" :

– وجدتها في محطة شارع "**بيكر**" كما توقعت أنت .

– ذلك سيوفر علينا متاعب كثيرة .. ثم إنه يؤيد وجهة نظري .

– يبدو أن هناك تطورات جديدة فقد بعثت أختي برسالة ..

وتلت عليه الرسالة ثم وضعتها أمامه . فطلب إليها الاتصال بأختها تليفونيًا .. وفعلت الآنسة "**ليمون**" ذلك وناولته السماعة ..

– السيدة "**هبارد**" ؟

– نعم يا سيد "**بوارو**" .. كان كرمًا منك أن تتصل بي بهذه السرعة .. الواقع أنني ..

فقاطعها قائلاً :

– من أين تتحدثين ؟

– من بيت الطالبات .. آه .. فهمت ماذا تعني .. إنني أتحدث من غرفتي .

– هل هناك وصلة تليفونية ؟

– إنني أتكلم الآن عن طريق الوصلة التليفونية .. أما التليفون الرئيسي فإنه في البهو .

– هل بالبيت من يستطيع الإنصات إلى حديثنا ؟

– في مثل هذه الساعة يكون الطلبة والطالبات جميعًا في الخارج .. وقد خرجت الطاهية للتسوق ، أما "**جيرونيمو**" زوجها فإنه لا يفهم الإنجليزية إلا قليلاً ، ولا يوجد سوى خادمة واحدة ولكنها صماء .. وأنا على يقين من أنها لن تحاول الإنصات .

– هذا حسن .. أستطيع إذن أن أتحدث بحرية ..هل تعقدون أحيانًا بعض الندوات المسائية أو تعرضون أفلامًا..أو تقيمون حفلات ترفيهية من نوع ما ؟

– إننا نعقد ندوات في بعض الأحيان .. ومنذ وقت قريب جاءتنا الآنسة "**بالتراوت**" المكتشفة المعروفة وألقت محاضرة مدعمة بصور ملونة عُرضت

بالفانوس السحري .

– إذن أعلني الليلة أنك دعوت السيد "**هركيول بوارو**" الذي تعمل أختك عنده لكي يتحدث إلى الطلبة والطالبات عن بعض القضايا الطريفة التي قام بتحقيقها .

وفي ذلك المساء ، وجد الطلبة لدى دخولهم قاعة الجلوس إعلانًا على لوحة بالقرب من الباب جاء به :

"تفضل السيد "**هركيول بوارو**" – رجل البوليس السري الخاص المشهور– بالموافقة على إلقاء محاضرة هذا المساء عن فن الكشف عن الجرائم نظريًا وعمليًا مع سرد أمثلة من القضايا الجنائية المشهورة " .

وقد تباينت تعقيبات الطلبة على هذا الإعلان :

– من هذا الرجل الذي ينتمي إلى البوليس السري الخاص ؟

– لم أسمع به قط .

– أنا سمعت به .. كان هناك رجل حكم عليه بالإعدام بتهمة قتل إحدى الخادمات ، ولكن رجل البوليس السري هذا أنقذه في آخر لحظة بأن اكتشف المجرم الحقيقي .

– أعتقد أن محاضرته ستكون ممتعة .

– سوف يطير "**كولين**" فرحًا فإنه مولع بدراسة سيكولوجية المجرمين .

– لا شك في أن من الأمور المثيرة أن تتاح للإنسان فرصة إلقاء الأسئلة على رجل كهذا كان على اتصال وثيق بالمجرمين .

✽✽✽✽✽

كان منتصف الساعة الثامنة هو الموعد المحدد لتناول العشاء، وكان أكثر الطلبة والطالبات قد جلسوا إلى المائدة حين جاءت السيدة "**هبارد**" من غرفتها وبرفقتها رجل قصير القامة متقدم في السن . له شعر حالك السواد وشاربان كثيفان كان يفتل جانبيهما بخيلاء :

قالت له السيدة "**هبارد**"

– أولئك هم بعض طلابنا وطالباتنا يا سيد "**بوارو**" .

ثم تحولت إلى الطلبة وقالت :

– أقدم لكم السيد "**بوارو**" الذي سيتفضل بالحديث إلينا بعد العشاء .

وتبودلت التحيات وجلس السيد "**بوارو**" بجوار السيدة "**هبارد**" وراح يتناول الطعام الذي قدم إليه .

وبعد قليل سمع الفتاة التي تجلس بجواره تسأله على استحياء :

– هل صحيح أن أخت السيدة "**هبارد**" تعمل عندك ؟

فتحول إليها وأجاب :

– نعم .. هذا صحيح .. إنها تعمل سكرتيرة لي منذ سنوات عديدة .. إنها أكفأ امرأة في الوجود ، وأنا أخشاها في بعض الأحيان .

– آه .. كنت أتساءل ..

– عم تتساءلين يا آنسة ؟

وابتسم لها ابتسامة أبوية ، في الوقت الذي كان ذهنه يسجل انطباعه عنها :

"فتاة جميلة .. مهمومة .. وخائفة .. وليست سريعة الخاطر" .

قال لها :

– هل لي أن أعرف اسمك والعلم الذي تدرسينه .. ؟

– اسمي "**سيليا أوستن**" .. وأعمل صيدلانية بمستشفى "**سانت كاترين**" .

– آه .. إنه عمل مسل .. أليس كذلك ؟

– لا أعلم .

– وزملاؤك الآخرون هنا ؟ لعل في استطاعتك أن تحدثيني عنهم. كنت أظن أن هذا البيت معد لإقامة الطلبة الأجانب ، ولكني أرى الأغلبية هنا من الإنجليز .

– إن بعض الأجانب ما زالوا بالخارج مثل السيد "**شندرالال**" والسيد "**جوبل إم**" .. وهما هنديان .. والآنسة "**رينجير**" .. وهي هولندية . والسيد "**أحمد علي**" وهو مصري شديد الاهتمام بالأمور السياسية .

– والحاضرون .. ؟ حدثيني عنهم .

– الجالس عن يسار السيدة "**هبارد**" يدعى "**نيجل شابمان**" وهو يدرس تاريخ العصر الأوسط واللغة الإيطالية بجامعة "**لندن**" ، وذات النظارة التي تليه هي "**باتريشيا**" وتعمل للحصول على دبلوم في علم الآثار ، والشاب الضخم ذو الشعر الأحمر هو "**ليونارد بيتسون**" طالب طب ، والفتاة السمراء هي "**فاليري هوبهاوس**" وتعمل في محل للتجميل ، وبجانبها "**كولين ماكناب**" وقد تخرج في جامعة "**لندن**" ويتلقى منهجًا إضافيًّا في علم النفس .

ولاحظ "**بوارو**" اضطرابا في صوت الفتاة وهي تتحدث عن "**كولين**" ، فنظر إليها بطرف عينه ، ورأى احمرار وجهها فقال لنفسه :" إنها إذن تحب "**كولين**" ولا تستطيع إخفاء شعورها" .

وأرسل بصره عبر المائدة إلى حيث كان يجلس "**كولين**" ، ولاحظ أنه لا يعيرها اهتمامًا .. وأنه منصرف إلى الحديث مع الفتاة الضاحكة ذات الشعر الأحمر التي تجلس بجواره .

قالت "**سيليا**" وهي تومئ نحو ذات الشعر الأحمر :

– هذه "**سالي فينش**" .. وهي أمريكية تتلقى العلم في "**لندن**" على منحة "**فولبرايت**" ، وبجوارها "**جنفييف ماريكو**" و"**رينيه هال**" ، وهما فرنسيتان جاءتا لدراسة اللغة الإنجليزية ، أما الفتاة الشقراء فهي "**جين توملنسون**" وتعمل أيضًا بمستشفى "**سانت كاترين**" ، والشاب الأسود الذي بجوارها هو "**أكيبومبو**" .. من غرب "**إفريقيا**" وهو ظريف للغاية، وتليه "**إليزابيث جونستون**" وهي من "**جاميكا**" وتدرس القانون .

أما الشابان اللذان يجلسان عن يميني فهما تركيان وقد جاءا منذ أسبوع ولا يعرفان الإنجليزية .

– شكرًا لك .. وهل العلاقة بينكم طيبة ؟ أعني هل تحدث بينكم خلافات ؟

وكان يتكلم ببساطة، نأت بكلماته عن الجدية فقالت "**سيليا**" :

– الواقع أننا جميعًا مشغولون وليس لدينا وقت للمشاحنات .. ومع ذلك ..

– ماذا يا آنسة "**أوستن**" ..

– إن "**نيجل**" ، ذلك الذي يجلس بجوار السيدة "**هبارد**" ، شغوف بمداعبة الآخرين .. ومداعباته تثير "**ليونارد بيتسون**" في بعض الأحيان ، ولكن "**بيتسون**" في الواقع شاب لطيف .

– و"**كولين ماكناب**" .. هل تثيره مداعبات "**نيجل**" أيضًا ؟

– لا .. إن "**كولين**" يكتفي عادة برفع حاجبيه بقلة اكتراث .

– والفتيات .. هل تنشب بينهن مشاجرات ؟

– لا .. فالصلة بيننا نحن الفتيات طيبة .. إن "**جنفييف**" تثورأحيانًا ولكني أعتقد أن الفرنسيين جميعًا سريعو الانفعال .. أرجو المعذرة .. إنما أردت أن أقول ..

وظهرت عليها دلائل الارتباك فقال :

– إنني بلچيكي ولست فرنسيًّا ..

واستطرد قائلاً بسرعة قبل أن تتمالك الفتاة نفسها :

– قلت منذ لحظة يا آنسة إنك تتساءلين .. ففيم التساؤل ؟

فقالت وهي تقطع رغيفها بحركة عصبية :

– آه .. لا شيء .. لا شيء في الواقع .. كل ما هناك أنه حدثت في الفترة الأخيرة بعض الدعابات الحمقاء .. ولكني كنت أظن أن السيدة **هبارد**" قد حدثتك عنها ..

فلم يلح عليها "**بوارو**" بمزيد من الأسئلة وتحول إلى السيدة "**هبارد**" وراح يتحدث إليها ، وما هي إلا لحظات حتى اشترك "**نيجل**" في الحديث فأثار موضوعًا تتشعب به الآراء .. قال إن الجريمة نوع من الإبداع الفني . وإن أشرار المجتمع هم في الحقيقة رجال الشرطة الذين ما اختاروا تلك المهنة إلاَّ لإشباع شهوة العنف التي تعتمل في قرارة نفوسهم .

*****

ولاحظ "**بوارو**" أن الفتاة ذات النظارة التي تجلس بجوار "**نيجل**" تحاول جاهدة إيضاح نظرياته وتبريرها فور إدلائه بها، بينما لم يكن هذا الأخير يحفل بها أو يلقي إليها بالاً .

وأخيراً قالت السيدة "**هبارد**" :

– إنكم معشر شباب اليوم لا تفكرون إلاّ في السياسة وعلم النفس .. لقد كان الشباب على عهدي أكثر مرحًا .. كنا نغني ونرقص .. ولو أنكم طويتم البُسُط في قاعة الجلوس لوجدتم مكانًا فسيحًا للرقص على موسيقى الراديو .. ولكنكم لا تفعلون .

فضحكت "**سيليا**" وقالت في شيء من الخبث :

– إنك كنت ترقص فيما مضى يا "**نيجل**" .. ولقد رقصت معك مرة ولكني لا أظنك تذكر .

فقال "**نيجل**" كمن لا يصدق ما سمع :

– أنت رقصت معي ؟ أين ؟

– في "**كمبريدج**" .. في احتفالات أول مايو (أيار) .

– آه .. احتفالات مايو (أيار) .. !! هذه مرحلة طيش يمر بها جميع المراهقين ومن حسن الحظ أنها سرعان ما تنتهي .

ولم يتمالك "**بوارو**" من الابتسام. كان واضحًا أن "**نيجل**" لايكاد يتجاوز الخامسة والعشرين .

وقالت "**باتريشيا لين**" بلهجة جدية :

– الواقع يا سيدة "**هبارد**" أن لدى كل منا من الدراسات والمحاضرات وكتابة المذكرات ما يشغله عن التافه من الأمور .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– ولكن الشباب مرحلة لا تتكرر في حياة الإنسان أيتها العزيزة .

✽✽✽✽✽

وبعد تناول الحلوى ، انتقل الجميع إلى قاعة الجلوس ، وهناك دُعي "**بوارو**" لإلقاء محاضراته ، فاستأذن الشابان التركيان في الانصراف لجهلهما اللغة الإنجليزية.. وبدأ "**بوارو**" حديثه الذي استغرق حوالي ثلاثة أرباع الساعة . وتضمن بعض تجاربه الشخصية .. واختتمه بقوله :

– وقلت لذلك الاقتصادي الكبير .. إن حادث السرقة الذي وقع في مكتبه .. يذكرني بحادث مماثل تعرض له رجل من أرباب الصناعة في "**بروكسل**" .. اتهم فيما بعد بقتل زوجته بالسم لكي يقترن بسكرتيرته الشقراء الفاتنة ..

وقلت له ذلك عرضًا .. وببساطة .. ولكني لاحظت على الفور أن جبينه تصبب عرقًا فأدركت أنني نجحت في إرهابه .. ونجحت بالتالي في إنقاذ حياته .. فقد كنت أعلم أنه مولع بسكرتيرته الشقراء .. ومن المؤكد أنني صرفته بتلك الكلمات عن التفكير في التخلص من زوجته بواسطة السم أو بأية وسيلة أخرى.. إن الوقاية أفضل من العلاج .. ونحن نحاول دائمًا أن نمنع الجرائم قبل وقوعها .

ثم أحنى قامته وأنهى حديثه بقوله :

– أظن أنني ضايقتكم أكثر مما ينبغي .

فصفق له الطلاب بشدة ، وأحنى "**بوارو**" قامته شاكرًا . وعندما هم بالجلوس، أخرج "**كولين ماكناب**" غليونه من فمه وقال :

– حبذا لو ذكرت لنا الآن السبب الحقيقي لحضورك إلى هنا .

فساد الصمت لحظة .. ثم صاحت "**باتريشيا**" مؤنبة :

– "**كولين**" .. !!

فقال "**كولين**" وهو يدير البصر حوله في احتقار :

– أظن أن في استطاعتنا جميعًا أن نعرف السبب .. لقد كان حديث السيد "**بوارو**" مسليًا للغاية .. ولكن هذا الحديث لم يكن السبب الرئيسي في قدومه.. إنه جاء في مهمة .. هل ظننت أننا لم نفطن إلى ذلك يا سيد "**بوارو**" ؟

فقالت "**سالي**" :

– تكلم عن نفسك يا "**كولين**" .

فصاح "**كولين**" :

– إنني ذكرت الحقيقة .. أليس كذلك يا سيد "**بوارو**" . ؟

فقال "**بوارو**" :

– أعترف بأن مضيفتي الكريمة قد أسرت إليّ بأن هناك أحداثًا معينة تسبب لها قلقًا وانزعاجًا.

فوثب "**ليونارد بيتسون**" واقفًا وصاح في غضب :

– ما معنى كل هذا ؟ أهي خدعة دبرت لنا ؟

فقال "**نيجل**" بلطف :

– ألم تدرك ذلك إلا الآن يا "**بيتسون**" ؟

وهنا قالت السيدة "**هبارد** " بلهجة حازمة :

– إنني طلبت إلى السيد "**بوارو**" أن يتحدث إلينا ... ولكنني كذلك كنت أريد معرفة رأيه في بعض الأحداث التي وقعت هنا أخيرًا ... كان لابد من عمل شيء... ولم يكن أمامي إلا أن أستطلع رأي السيد "**بوارو**" أو أبلغ البوليس .

فارتفعت على الفور ضجة عنيفة وصاحت "**جنفييف**" بالفرنسية :

– إن الالتجاء إلى البوليس فضيحة ليس بعدها فضيحة .

واختلطت الأصوات واختلفت الآراء ، وأخيراً صاح "**ليونارد بيتسون**" :

– دعونا نسمع رأي السيد "**بوارو**" في الموضوع .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– إنني وضعت جميع الحقائق أمام السيد "**بوارو**" .. فإذا أراد أن يلقي بعض الأسئلة فلا شك في أنكم لا تعارضون .

فقال "**بوارو**" :

– شكراً لك يا سيدتي ..

وبحركة أشبه بحركات المشعوذين ، قدم لـ "**سالي فينش**" حذاء سهرة فضي وهو يقول :

– هل هذا حذاؤك يا آنسة ؟

– آه .. نعم .. أين وجدت الفردة المفقودة ؟

– في مكتب الأشياء المفقودة بمحطة شارع "**بيكر**" .

– ولكن ماذا جعلك تفكر في احتمال وجودها هناك يا سيد "**بوارو**" ؟

– عملية استنتاج بسيطة .. لقد سرق أحدهم فردة الحذاء من غرفتك .لماذا؟ إنه لم يسرقها ليستعملها .. أو ليبيعها .. ولما كان من المتوقع أن يشترك كل إنسان في البيت في البحث عن فردة الحذاء .. فقد كان يجب إخراجها من البيت .. أو إعدامها ..

ولكن ليس من السهل إعدام فردة حذاء في بيت مزدحم بالناس .. وأفضل وسيلة للتخلص منها هي تغليفها وحزمها ، والركوب بها في حافلة أو قطار في وقت الزحام .. وتركها تحت أحد المقاعد .

كان هذا أول خاطر طرأ لي .. وقد ثبت أنني كنت على صواب ، مما أيد وجهة نظري في أن السرقة لم ترتكب إلاَّ لمجرد الرغبة في المضايقة .

فأرسلت "**فاليري**" ضحكة قصيرة وقالت :

– إن هذا الإيضاح يشير إليك بإصبع الاتهام يا عزيزي "**نيجل**" .

فصاحت "**سالي**" :

– هراء .. إن "**نيجل**" لم يأخذ فردة حذائي .

وقالت "**باتريشيا**" في غضب :

– بالتأكيد لم يأخذها .. ومن السخف اتهامه .

فقال "**نيجل**" :

– الواقع أنني لم أفعل شيئًا كهذا .. ولا شك في أن كل إنسان هنا سيقول إنه لم يفعل ذلك .

ويبدو أن "**بوارو**" كان في انتظار سماع هذه العبارة الأخيرة ، لأنه راح يجيل بصره بين وجوه الحاضرين ثم قال :

– إن موقفي دقيق .. فأنا ضيفكم هنا وقد جئت تلبية لدعوة السيدة "**هبارد**" كي نقضي معًا سهرة ممتعة .. وكذلك لكي أعيد الحذاء الجميل إلى صاحبته ..

وقد سألني السيد "**بيتسون**" منذ لحظة عن رأيي في الأحداث المقلقة التي وقعت هنا . ولكنني أكون متطفلاً إذا أبديت رأيي . . . نزولاً على رغبة واحد منكم . . لا نزولاً على رغبتكم جميعًا . .

فهز "**أكيبومبو**" رأسه الأسود موافقًا وقال :

– هذا هو السلوك القويم يا سيدي . . والإجراء الديمقراطي السليم في مثل هذا الموقف هو أخذ أصوات الحاضرين جميعًا .

فصاحت "**سالي فينش**" بفروغ صبر :

– نحن جميعًا كتلة واحدة . . وما يقترحه أحدنا يوافق عليه الآخرون ، فدعونا نسمع رأي السيد "**بوارو**" .

فقال "**بوارو**" :

– حسنًا إذن . . إنني أرى أن تقوم السيدة "**هبارد**" أو السيدة "**نيكوليتس**" بإبلاغ البوليس . . فورًا بدون أي تأخير .

- 5 -

ليس ثمة شك في أن تصريح "**بوارو**" لم يكن متوقعًا على الإطلاق ؛ ولذلك لم يرتفع أي صوت بالتعليق أو الاحتجاج . . وساد القاعة صمت عميق مشوب بالقلق .

وتحت ستار الجمود المؤقت الذي استولى على الجميع انسحبت السيدة "**هبارد**" من القاعة واصطحبت "**بوارو**" إلى غرفتها ، وقدمت إليه مقعداً بجوار المدفأة .

كانت تبدو على وجهها السمح دلائل الشك والقلق .

قدمت إلى ضيفها لفافة تبغ ولكنه اعتذر في أدب قائلاً إنه يفضل لفافته الخاصة . وعندما عرض عليها إحدى سجائره قالت إنها لا تدخن . . ثم جلست على مقعد أمامه وقالت بعد تردد قصير :

– أظن أنك على حق يا سيد "**بوارو**" وأننا يجب أن نبلغ البوليس ، خصوصًا بعد حادث الحبر الذي ينطوي على رغبة في الإتلاف بسوء نية . ولكنني كنت أوثر

لو أنك لم تعلن ذلك بهذه الصراحة .

فقال "**بوارو**" وهو يشعل لفافته :

– آه ... هل تظنين انه كان يجب أن ألجأ إلى التمويه ؟

– جميل بالتأكيد أن يكون الإنسان صريحاً وصادقاً .. ولكن يخيل إليّ أنه كان من الأفضل أن نكتم الأمر وندعو أحد ضباط الشرطة ونوضح له الموقف في جلسة خاصة .. أما الآن فإن الشخص أو الأشخاص الذين أقدموا على هذه الأعمال الحمقاء سوف يأخذون حذرهم .

– ربما .

– بل إن ذلك مؤكد .. ويفترض أن الفاعل سواء أكان من الطلبة أم الخدم لم يكن موجوداً في اجتماع الليلة فإنه سوف يعلم بما استقر عليه الرأي ..

– هذا صحيح .

– ثم هناك السيدة "**نيكوليتس**" .. إنني لا أعرف ماذا سيكون موقفها في هذا الموضوع .. وطبيعي أننا لن نستطيع إبلاغ البوليس بدون موافقتها .. يا إلهي ..! ترى من يكون هذا ؟

ذلك أنهما سمعا في هذه اللحظة طرقاً عنيفاً على الباب ، تكرر بسرعة قبل أن تهتف السيدة "**هبارد**" قائلة :

– ادخل .

وفتح الباب على الفور ، ودخل "**كولين ماكناب**" وهو مقطب الجبين وغليونه في فمه .

قال وهو يرفع غليونه ويغلق الباب :

– معذرة .. فقد أردت أن أقول كلمة للسيد "**بوارو**" .

قال ذلك وحمل مقعداً وجلس عليه في مواجهة "**بوارو**" ، ثم استطرد قائلاً :

– كان حديثك إلينا الليلة ممتعاً .. ولست أنكر أنك رجل واسع التجربة والخبرة .. ولكن اسمح لي بأن أصارحك بأن أساليبك وآراءك عتيقة .. قد عفا عليها الزمن ..

فصاحت السيدة "**هبارد**" وقد احمر وجهها :

– حقًا .. أنت فظ للغاية يا "**كولين**" .

– إنني لا أضمر الإساءة إلى أي أحد .. إنما أريد أن أوضح بعض الأمور . إنك لا تفكر إلا في الجريمة والعقاب يا سيد "**بوارو**" .. إنهما الأفق الذي تنتهي عنده قوة إبصارك .

فأجاب "**بوارو**" :

– ذلك طبيعي .

– أنت تنظر إلى القانون من أضيق زواياه . . . وأكثر من ذلك تنظر إلى القانون في أقدم صوره ونصوصه . إن القانون في هذه الأيام قد تطور مع الحضارة وأصبح يعترف بأحدث النظريات عن أسباب الجريمة .. إن أسباب الجريمة أهم كثيراً من الجريمة في حد ذاتها .

– إنني أوافقك على ذلك .

– في هذه الحالة ينبغي لك أن تضع في اعتبارك الأسباب التي أدت إلى الأحداث التي وقعت في هذا البيت . ينبغي لك أن تعرف لماذا حدثت .

– إنني لا أختلف معك فذلك على جانب عظيم من الأهمية .

– ذلك لأنه يوجد دائمًا مبرر .. وقد يكون مبرراً معقولاً من وجهة نظر الشخص المسؤول عن الجريمة .

وهنا لم تتمالك السيدة "**هبارد**" نفسها فصاحت :

– هراء .

فقال "**كولين**" :

– أنت مخطئة يا سيدة "**هبارد**" .. إذ من الواجب أن نضع في الاعتبار الخلفية السيكولوجية للجريمة .

فصاحت السيدة "**هبارد**" مرة أخرى :

– هراء .. أنا لا أطيق سماع مثل هذه الترهات .

– ذلك لأنك لا تعرفين شيئًا عنها .

ثم تحول إلى "**بوارو**" واستطرد قائلاً :

– إنني معنيٌ بهذا الموضوع .. وأتلقى حاليًا دراسات إضافية في علم النفس، وتصادفني في أبحاثي ودراساتي حالات متناهية في الغرابة .. ما أريد أن أقوله يا سيد "**بوارو**" هو أنه لا ينبغي أن تدمغ الفاعل بالإجرام والخروج على قوانين البلاد هكذا ببساطة . بل يجب أن تتغلغل إلى الأعماق وتصل إلى جذور الشر ، حتى يتسنى لك وصف العلاج الناجح للشباب المنحرف.. هذه الآراء لم تكن معروفة في عهدك، ولا شك في أنك ستجد صعوبة في قبولها .

فقالت السيدة "**هبارد**" بإصرار :

– إن السرقة سرقة .. وليس ثمة أي مبرر لها .

وقال "**بوارو**" في خشوع :

– لا شك في أن آرائي قديمة وقد عفا عليها الزمن ، ولكنني على استعداد للإصغاء إليك يا سيد "**ماكناب**" .

فبدت الدهشة على وجه "**كولين** " وقال :

– هذا كلام منطقي يا سيد "**بوارو**" وسأحاول الآن أن أوضح لك الأمر بعبارات مبسطة .

– شكرًا لك .

– سأبدأ الآن – للتيسير – بحذاء السهرة الفضي الذي أحضرته معك الليلة وأعدته إلى "**سالي فينش**" .. لعلك تذكر أن فردة واحدة فقط من هذا الحذاء قد سرقت ..

فقال "**بوارو**" :

– وأذكر أن هذه الحقيقة هي ما لفتت نظري وأثارت دهشتي .

– ولكنك لم تدرك مغزاها .. إنها في الواقع تشكل أجمل وأوضح مثل يمكن أن يقع عليه باحث في الأمراض النفسية .. هذا المثل يضع أمامنا بصفة أكيدة ما اصطلح علماء النفس على تسميته بعقدة "**سندريلا**" .. أنت تعرف أسطورة "**سندريلا**" بالتأكيد ..

– نعم .. إنها أسطورة فرنسية أصلاً .

– "**سندريلا**" .. الفتاة المهيضة الجناح ، تجلس بجوار المدفأة ، بينما أختاها ترتديان أجمل الثياب وتنطلقان إلى مرقص الأمير .. ثم تأتي الساحرة الطيبة فترسل "**سندريلا**" أيضاً إلى المرقص ، ولكنها تنذرها بأنها ستعود إلى خرقها البالية حينما تدق الساعة منتصف الليل ..

وتضطر "**سندريلا**" إلى مغادرة المرقص بسرعة حينما تسمع أولى دقات الساعة.. وتسقط فردة حذائها .

إن سرقة فردة الحذاء تضعنا أمام فتاة تشعر من الكبت والحرمان والغيرة والنقص بمثل ما كانت تشعر به "**سندريلا**" .

– فتاة ؟

– بالتأكيد هذه حقيقة يدركها أقل الناس ذكاء .

فصاحت السيدة "**هبارد**" مؤنبة :

– "**كولين**" .

فقال "**بوارو**" في أدب :

– أرجوك أن تواصل حديثك .

– ربما كانت الفتاة نفسها لا تعرف لماذا سرقت فردة الحذاء .. ولكن الرغبة الداخلية موجودة .. إنها تريد أن تكون الفتاة التي يعجب بها الأمير ويسعى وراءها . وثمة دلالة أخرى .. لقد سرقت فردة الحذاء من فتاة جميلة كانت في طريقها إلى مرقص .

وكان غليونه قد أنطفأ فلم يشعله ومضى يقول في حماسة :

– ولننظر الآن إلى المسروقات إنها مجموعة من الأدوات ذات الصلة بالتجميل علبة مسحوق، أحمر شفاة .. قرط ، سوار ، خاتم . كلها أشياء لا تدخل في عداد المسروقات الإجرامية المألوفة لأنها لم تسرق لقيمتها المادية .. تماماً كما يحدث في بعض المتاجر حين تقدم إحدى السيدات الموسرات على سرقة أشياء كان في مقدورها أن تشتريها وتدفع ثمنها .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– كلام فارغ .. هناك أناس مطبوعون على عدم الأمانة .. ذلك كل ما في الأمر.

وقال "**بوارو**" :

– لا تنس أنه كان بين المسروقات خاتم عظيم القيمة .

– لقد أعيد .

– لا شك في أنك لن تزعم يا سيد "**ماكناب**" أن سماعة الطبيب هي كذلك من أدوات التجميل .

– إن سرقة السماعة لها مغزى آخر أشد عمقًا .. إن المرأة التي تشعر بافتقارها إلى الجمال والجاذبية تحاول تعويض هذا النقص بالنبوغ في مهنة ما .

– وكتاب الطهو ؟

– إنه يرمز إلى الحنين إلى الحياة الزوجية والبيت والأسرة .

ومسحوق البوريك .. ؟

فصاح "**كولين**" في ضيق :

– يا عزيزي السيد "**بوارو**" من ذا الذي يسرق قليلاً من مسحوق البوريك .. ؟ ولماذا ؟

– لقد ألقيت على نفسي هذا السؤال . وإنه ليخيل إليّ أن عندك الإجابة عن كل سؤال يا سيد "**ماكناب**" فهل تستطيع أن تذكر لي معنى اختفاء سروال قديم ... هو سروالك على ما قيل لي ؟

ولأول مرة بدت الحيرة على "**كولين**" فاحمر وجهه ، وسعل ثم قال :

– في استطاعتي أن أقدم إيضاحًا ولكني لا أحب أن أحرج أحداً .

– والحبر الذي سكب على أوراق إحدى الطالبات والشملة التي مزقت إربًا.. ؟ ألا يزعجك أمرهما ؟

– بلى يزعجني كثيراً، وأعتقد أن الفتاة أحوج ما تكون إلى عناية الأطباء .. منها إلى تحقيقات البوليس .. إن المسكينة مثقلة بالعقد النفسية ولو كان الأمر بيدي...

فقاطعه "**بوارو**" :

– هل تعرف إذن من هي ؟

– أكبر الظن أنني أعرفها .

– أهي فتاة خجول غير موفقة مع الجنس الآخر ؟ فتاة ليست لامعة الذكاء .. وتشعر بالكبت والوحدة ؟ فتاة ...

وطُرق الباب في هذه اللحظة فكف عن الكلام وصاحت السيدة "**هبارد**" :

– ادخل .

وفتح الباب ودخلت "**سيليا**" فهتف "**بوارو**" :

– آه .. تمامًا .. الآنسة "**سيليا أوستن**" .

ونظرت "**سيليا**" إلى "**كولين**" في شيء من الهلع وتمتمت قائلة :

– لم أكن أعلم أنك هنا .. إنني جئت .. إنني جئت ..

وتنهدت ، وهرعت إلى السيدة "**هبارد**" وهي تقول :

– أرجوك ألاّ تبلغي البوليس. أنا التي أخذت هذه الأشياء .. ولا أدري لماذا أخذتها بل لم أكن أريد أن آخذها .. كنت أتصرف بلا وعي أو إدراك .

ودارت على عقبيها وواجهت "**كولين**" واستطردت تقول :

– هأنت قد عرفتني على حقيقتي .. وأعتقد أنك لن تتحدث إليّ بعد الآن . أعني أنني فتاة شريرة وأن ...

فقاطعها قائلاً بصوت كله حنان وعطف :

– لا ... لقد اختلطت عليك الأمور .. ذلك كل ما هنالك .. إنه نوع من المرض لا يجعلك ترين الأشياء بوضوح .. وإذا وثقت بي يا "**سيليا**" فإنني أعد بأن أبرئك من هذا المرض وأردك إلى سواء السبيل .

– أحقًّا يا "**كولين**" .. ؟

ونظرت إليه بوله واستطردت قائلة :

– لقد كنت فريسة هم قاتل .

فقال وهو يمسك بيدها :

– اطمئني يا "**سيليا**" فلم يعد هناك ما يستوجب الهم والقلق .

وتأبط ساعدها وقال وهو ينظر إلى السيدة "**هبارد**" مؤنبًا:

– أظن أنه لا يوجد الآن ما يبرر التفكير في إبلاغ البوليس . فلا شيء ذا قيمة قد سرق . و"**سيليا**" على استعداد لرد ما أخذته .

فقالت "**سيليا**" في قلق :

– لا أستطيع رد السوار أو علبة المساحيق لأنني ألقيت بهما في بالوعة الشارع .. ولكنني على استعداد لشراء بديلين لهما .

فقال "**بوارو**" :

– وسماعة الطبيب .. أين أخفيتها ؟

فاحمر وجه الفتاة وقالت :

– أنا لم آخذها إذ ماذا أصنع بها ؟ وكذلك لست أنا التي سكبت الحبر على أوراق "**إليزابيث**" السمراء .. إنني لا أقدم على عمل بشع كهذا .

– ولكنك أقدمت على تمزيق شملة الآنسة "**هوبهاوس**" . أليس كذلك يا آنسة؟

– هذا أمر آخر و"**فاليري**" لم تعبأ بذلك .

– والحقيبة ؟

– لم أمزقها .

فأخرج "**بوارو**" من جيبه قائمة الأشياء المفقودة وقال :

– حدثيني في صدق وصراحة .. أي من هذه الأشياء أنت مسؤولة عنه ؟

فنظرت "**سيليا**" إلى القائمة وأجابت على الفور :

– لا أعرف شيئًا عن الحقيبة أو المصابيح الكهربية أو مسحوق البوريك أو الأملاح المعطرة .. أما الخاتم فإنني أخذته خطأ وعندما تبينت أنه قيم أعدته .

وهنا قال "**كولين**" موجهًا الحديث إلى السيدة "**هبارد**" :

– أكون شاكرًا لو أنك كففت عن مساءلتها وأعدك بأن ما حدث لن يتكرر ، ومن الآن سأكون مسؤولاً عنها .

فهتفت الفتاة :

– كم أنت طيب القلب يا "**كولين**" !!

– حبذا لو حدثتني بالمزيد عن نفسك يا "**سيليا**" .. حدثيني مثلاً عن طفولتك. هل كان أبوك وأمك على وفاق ؟

– لا .. كان البيت جحيماً .

– هذا ما توقعته .. وهل ..

فقالت السيدة "**هبارد**" في حزم :

– بحسبكما هذا الآن .. إنني جد سعيدة يا "**سيليا**" لاعترافك بما اقترفت ، على أنك سببت لنا كثيراً من القلق والانزعاج ، وينبغي أن تخجلي من نفسك .. ولكني أقول لك إنني أصدق أنك لم تسكبي الحبر عمداً على أوراق "**إليزابيث**" .. لأنني أعتقد أنك لا تفعلين شيئًا كهذا .. والآن تستطيعين أن تنصرفي .. أنت و"**كولين**" فقد لقيت منكما ما يكفي هذا المساء .

وما إن أغلق الباب وراء الشابين حتى تنهدت السيدة "**هبارد**" وقالت :

– وما رأيك في كل هذا ؟

فلمعت عينا "**بوارو**" وهو يقول :

– أعتقد أننا شهدنا الآن قصة غرامية من الطراز الحديث. في أيامنا كان الشبان يعيرون الفتيات كتب الفلسفة والتصوف ويناقشون معهن الأعمال الأدبية .. كانت هناك مشاعر رفيعة ومثل عليا .. أما الآن فإن الضياع والعقد النفسية هي ما يجمع بين الشباب من الجنسين .. ومتى كان الشاب جاداً وباحثًا رصينًا مثل "**كولين**" ، فمن الطبيعي أن يرد أسباب الانحراف إلى العقد النفسية والحياة العائلية التعسة .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– لقد توفي والد "**سيليا**" وهي في الرابعة من عمرها . فعاشت طفولة سعيدة مع أم رائعة ولكنها على شيء من الغباء .

– ولكن الفتاة كانت من الذكاء حتى لم تصارح "**كولين**" بشيء من ذلك ، لقد قالت له ما يريد سماعه .. ويبدو أنها غارقة إلى أذنيها في حبه .

– هل تصدق كل هذا السخف الذي ذكره "**كولين**" يا سيد "**بوارو**" ؟

– لا أصدق أن "**سيليا**" تعاني عقدة "**سندريلا**" أو أنها سرقت بدون أن تدرك ما هي فاعلة . أعتقد أنها جازفت بسرقة أشياء تافهة لا أهمية لها بهدف واحد ، هو أن تلفت إليها نظر "**كولين ماكناب**" وتثير اهتمامه بها، وأعتقد أنها حققت هدفها بنجاح .. ولو أنها قد ظلت على فطرتها كأي فتاة جميلة خجول لما نظر إليها ، والرأي عندي أن من حق كل فتاة أن تلجأ إلى كل وسيلة ممكنة للظفر برجلها .

– ما كنت أحسبها من الذكاء حتى تفكر في مثل هذه الخطة .

فقطب "**بوارو**" حاجبيه ولم يجب واستطردت السيدة "**هبارد**" قائلة :

– إذن فقد كان الموضوع كله ليس سوى عبث أولاد .. أنا أعتذر لك يا سيد "**بوارو**" عما أضعت من وقتك في موضوع تافه كهذا ، وعلى كل حال أعتقد أن كل شيء قد انتهى إلى خير .

فقال "**بوارو**" وهو يهز رأسه :

– لا .. لا .. لا أظن أننا وصلنا إلى النهاية .. فلا تزال هناك أشياء تحتاج إلى إيضاح .. واعتقادي الخاص أننا حيال أمور جد خطيرة .

واكفهر وجه السيدة "**هبارد**" وهتفت :

– أتعتقد ذلك حقًّا يا سيد "**بوارو**" ؟

– هذا هو انطباعي .. هل أستطيع التحدث إلى "**باتريشيا لين**" ؟ أريد أن أفحص خاتمها الذي سرق .

– سأبعث بها إليك في التو واللحظة ..

*****

وجاءت "**باتريشيا لين**" بعد قليل وفي عينيها نظرة استفسار ، فبادرها بقوله:

– يؤسفني أن أكون قد أزعجتك يا آنسة .

– لا عليك .. فلم يكن هناك ما يشغلني .. قالت السيدة "**هبارد**" إنك تريد رؤية خاتمي .

وأخرجت الخاتم من أصبعها وقدمته إليه وهي تقول :

– إن الألماسة كبيرة حقًا ولكن الصياغة عتيقة .. والواقع أنه خاتم خطبة أمي.

فسألها "**بوارو**" وهو يفحص الخاتم :

– هل لا تزال أمك على قيد الحياة ؟

– لا .. إني فقدت أبوي .

– هذا أمر يؤسف له .

– نعم .. لقد كانا من أكرم الناس وأظرفهم ، ولكني لم أكن شديدة الالتصاق بهما كما ينبغي .. إن الإنسان يندم على ذلك بعد فوات الأوان .. كانت أمي تريد أن أنشأ فتاة جميلة مدللة تهوى الثياب الأنيقة والحياة الاجتماعية .. وخاب حلمها حين صممت على دراسة علم الآثار .

– هل كنت جادة دائمًا في تفكيرك وسلوكك ؟

– أظن ذلك .. إن الإنسان ليشعر بأن الحياة قصيرة ، وإنه ينبغي له أن يفعل شيئًا ذا قيمة .

فنظر إليها "**بوارو**" مفكرًا ...

كانت في بداية الحلقة الثالثة من عمرها . قليلة العناية بزينتها وهندامها .. ولها عينان زرقاوان جميلتان تحملقان من خلال نظارتها بنظرة رصينة .

فقال لنفسه :"إنها فتاة ذكية ومثقفة .. ولكنها مع السنين لن تثير في جلسائها سوى الإحساس بالملل والسأم" .

قالت الفتاة :

– لقد أزعجني ما حدث للسمراء "**إليزابيث**" .. لا شك في أن من سكب الحبر الأخضر على أوراقها تعمد ذلك لإثارة الشبهات حول "**نيجل**" . ولكني أؤكد لك يا سيد "**بوارو**" أن "**نيجل**" لا يقدم أبدًا على عمل كهذا .

فنظر إليها "**بوارو**" بمزيد من الاهتمام ، ولاحظ حماسها واحمرار وجنتيها .

قالت :

– ليس من السهل أن تفهم "**نيجل**" . إنه مر في طفولته بأوقات عصيبة .

فقال "**بوارو**" لنفسه : "يا إلهي .. !! محاضرة جديدة في علم النفس !!"
واستطردت الفتاة قائلة :

– إنه إنسان صعب المراس يميل إلى عصيان الأوامر ومعارضة السلطة بكل أنواعها .. ولكنه بارع ومتوقد الذكاء .. ولعل من أسوأ صفاته السخرية والاستخفاف .. فهو لا يكلف نفسه حتى عناء تبرير سلوكه والدفاع عن نفسه .. ولو أن النزلاء قد أجمعوا على أنه الذي سكب الحبر على أوراق "**إليزابيث**" ، ما خرج من صمته ليدفع التهمة عن نفسه ، ولاكتفى بأن يقول : "دعوهم يظنوا ما يريدون .." . وهو سلوك ينطوي على الغباء والسخف ..

– ومن المحتمل أن يساء تفسيره .

– إنه نوع من الكبرياء فيما أعتقد .. لأن الجميع كانوا دائمًا يسيئون فهمه .

– هل تعرفينه منذ وقت طويل ؟

– منذ قرابة عام .. تقابلنا في رحلة جماعية في "**فرنسا**" ، وأصيب بإنفلونزا تطورت إلى التهاب رئوي فعنيت بتمريضه حتى شفي .. إنه رقيق مرهف الحس ولا يُعنى أبدًا بصحته .. وعلى الرغم من نزعته الاستقلالية فإنه يحتاج إلى من يُعنى به ويرعاه كالأطفال .

فتنهد "**بوارو**" وقد أحس بأنه يواجه قصة غرام أخرى .

نهض واقفًا وهو يقول :

– هل تسمحين لي بالاحتفاظ بهذا الخاتم يا آنسة ؟ سأعيده إليك غدًا بدون تأخير .

فهتفت "**باتريشيا**" في شيء من الدهشة :

– بالتأكيد .. بالتأكيد ..

– أشكرك يا آنسة .. وأرجوك أن تكوني على حذر .

– أكون على حذر .. ؟ مم ؟

– ليتني أعلم ..

- 6 -

كانت السيدة "**هبارد**" تشعر بالارتياح عندما استيقظت في صباح اليوم التالي. فقد تبددت الشكوك التي ساورتها عقب الأحداث الأخيرة ، وتركزت مسؤولية هذه الأحداث في فتاة حمقاء تصرفت بغباء . وسوف يسود النظام والهدوء بعد الآن .

وهبطت السيدة "**هبارد**" إلى قاعة الطعام باطمئنان ، ولكنها ما إن دخلت القاعة حتى تزعزعت طمأنينتها ، وخيل إليها أن جميع الطلبة والطالبات يحاولون إثارة المتاعب كل منهم بطريقته .

وكان "**شندرالال**" قد سمع بما أصاب أوراق السمراء "**إليزابيث**" فثارت ثائرته وصاح :

– هذا عمل ينطوي على اضطهاد واضح واحتكار متعمد للعناصر الملونة .

فقالت السيدة "**هبارد**" بحدة :

– ليس من حقك أن تقول كلامًا كهذا يا سيد "**شندرالال**" ، فإننا لا نعرف من فعل هذا ولماذا فعله .

فقالت "**جين تomلنسون**" :

– كيف ذلك يا سيدة "**هبارد**" .أعتقد أن "**سيليا**" ذهبت إليك بنفسها واعترفت بذنبها ، وكان جميلاً أن تفعل ذلك ، ومن حقها علينا أن نعاملها برفق .

فهتفت إحدى الفتيات :

– ما هذا الذي أسمعه يا سيدة "**هبارد**" ؟ هل صحيح أن "**سيليا**" هي التي سرقت تلك الأشياء ؟ وهل هذا هو سبب تخلفها الآن عن تناول طعام الفطور معنا.. ؟

فقال "**ليونارد بيتسون**" :

– مسكينة تلك الفتاة .. ! ترى هل كانت في ضيق مالي ؟

وقالت "**إليزابيث جونستون**" في دهشة :

– أتقولون إن "**سيليا**" هي التي سكبت الحبر على أوراقي ؟ هذا أمر يثير الدهشة ولا يمكن تصديقه .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– إن "**سيليا**" لم تسكب الحبر على أوراقك ، وأنا أطالبكم جميعًا بالكف عن مناقشة هذا الموضوع .. لقد كان في نيتي أن أصارحكم بالأمر في هدوء فيما بعد .. ولكن ..

فقالت "**فاليري**" :

– ولكن "**جين**" كانت تسترق السمع بباب غرفتك ليلة أمس ..

فقالت "**جين**" :

– أنا لم أسترق السمع .. لقد تصادف مروري أمام الغرفة ..

فقال "**نيجل**" :

– لا تتظاهري بالدهشة يا "**إليزابيث**" .. أنت تعرفين جيداً من سكب الحبر على أوراقك .. إن "**نيجل**" الشرير يعترف بأنه سكب محبرته الخضراء على أوراقك .

فصاحت "**باتريشيا**" :

– لا .. إنه لم يفعل ذلك .. ما هذا الغباء يا "**نيجل**" ؟

فقال "**نيجل**" :

– إنما أردت أن أكون نبيلاً وأن أحميك يا "**باتريشيا**" .. من الذي استعار محبرتي صباح أمس ؟ أنت .

فقال "**أكيبومبو**" :

– إنني لا أفهم شيئًا ..

فقالت له "**سالي**" :

– لا حاجة بك لأن تفهم .. لو كنت مكانك لنأيت بنفسي عن كل هذا .

فنهض "**شندرالال**" واقفًا وصاح :

– تسألون لماذا قامت جماعة الماو ماو .. ولماذا أممت مصر "**قناة السويس**" ؟

فقال "**نيجل**" بحدة :

– يا للسماء : !! لم يكن ينقصنا إلاأن نتحدث في السياسة على مائدة الفطور.. إنني ذاهب .

وتراجع بمقعده بعنف وغادر المكان .. ولحقت به "**باتريشيا**" وهي تصيح :

– إن البرد شديد في الخارج فخذ معطفك .

فقالت "**فاليري**" ساخرة :

– ما أحوجها إلى جناحين تحيطه بهما .. !!

ولم تكن الفتاة الفرنسية "**جنفييف**" تعرف من اللغة الإنجليزية ما يساعدها على متابعة الحوار ، فراحت تنصت باهتمام إلى إيضاحات زميلتها " **رينيه**" ، وما لبث أن صرخت بالفرنسية قائلة :

– ما معنى هذا .. ؟ هل تلك الصغيرة هي التي سرقت علبة مساحيقي .. ؟ لابد أن أشكو إلى الشرطة .. إنني لا أطيق مثل هذا السلوك .

وخلال ذلك كله .. كان "**كولين ماكناب**" يحاول أن يقول شيئًا .

ولكن صوته ضاع وسط الضجيج . وأخيراً ضرب المائدة بقبضة يده بشدة فصمت الجميع . وانزلق وعاء المربى من فوق المائدة وسقط على الأرض وتحطم .

صاح :

– اصمتوا جميعًاوأصغوا إليّ .. إنني لم أر في حياتي ما أراه هنا الآن من قسوة وجهل .. أليست لكم أية دراية بمبادئ علم النفس .. ؟ هذه الفتاة يجب ألا تلام.. إنها تمر بأزمة عاطفية عنيفة وتحتاج إلى العلاج مثل حاجتها إلى العناية والعطف . وإلاّ ظلت معقدة طوال حياتها . إنني أحذركم .. وأهيب بكم أن تعاملوها برفق .. فذلك كل ما تحتاج هي إليه .

فقالت "**جين**" بصوت واضح النبرات :

– على الرغم من أنني أوافقك على ضرورة الرفق بها ، فإننا يجب أن ندين عملها.. أعني إقدامها على السرقة .

فقال "**كولين**" :

– السرقة .. ؟ هذه لم تكن سرقة .. الحق أنكم جميعًا تثيرون اشمئزازي .. جميعكم .

فقالت "**فاليري**" وهي تنظر إليه ساخرة :

– إن حالتها من الحالات المثيرة للاهتمام . أليس كذلك يا "**كولين**" . ؟

– إذا كنت من المهتمين بأمو ر العقل فالإجابة هي : بلى . . .

فقال "**بيتسون**" :

– كفى مناقشات .. لقد تأخرنا عن موعدنا .. هلمى بنا يا "**جين**" ..

ونهض واقفًا ، وحذت "**جين**" حذوه ، وعندما وصل إلى الباب ، استدار وقال :

– قولوا لـ "**سيليا**" أن تتشجع .

فقال "**شندرالال**" :

– يجب أن أحتج بشدة فقد اختفى مسحوق البوريك الذي كنت أعالج به عيني كلما التهبت بسبب الإسراف في القراءة .

فقالت السيدة "**هبارد**" بحزم :

– أنت أيضًا ستتأخر عن موعدك يا سيد "**شندرالال**" .

فقال الشاب الهندي وهو ينهض :

– إن أستاذي يتخلف دائمًا عن موعد المحاضرة .. ثم إنه يتأفف ويضيق بي كلما ألقيت عليه سؤالاً عن موضوع المحاضرة .

قال ذلك وأسرع الخطى نحو الباب .

وصاحت "**جنفييف**" بالفرنسية :

– ولكنها يجب أن ترد إليّ علبة المساحيق .

فقالت السيدة"**هبارد**" :

– حاولي التحدث بالإنجليزية يا "**جنفييف**" ، لن تتعلمي هذه اللغة ما دمت تعبرين بالفرنسية كلما انفعلت . ثم إنك تناولت غداءك هنا يوم الأحد ولم تدفعي ثمنه .

– إن حقيبتي ليست معي الآن .. هلم بنا يا "**رينيه**" وإلا تأخرنا..

فقال "**أكيبومبو**" وهو ينظر حوله متوسلاً :

– أرجوكم .. إنني لا أفهم شيئًا ..

فقالت "**سالي**" :

– تعال يا "**أكيبومبو**" .. سأحدثك بكل شيء ونحن في طريقنا إلى المعهد .

وأمسكت بيده ، وقادته إلى الخارج .

وتنهدت السيدة "**هبارد**" وغمغمت قائلة :

– يا إلهي .. !! لماذا قبلت هذه الوظيفة ؟

فابتسمت "**فاليري**" ، ولم يكن قد بقي في القاعة سواها ، وقالت :

– يجب أن نحمد الله .. على أن الحقيقة قد ظهرت ...

– لا أكتمك أنني ذهلت ..

– حين علمت أن "**سيليا**" هي المذنبة ؟

– نعم .. وأنت ؟

– الواقع أن الأمر كان واضحًا ولا أدري كيف لم أفطن إليه .. وعلى كل حال أظن أن "**سيليا**" قد نجحت في اقتناص "**كولين**" ووضعته حيث تريده أن يكون .

– نعم .. ولكن لا أتمالك نفسي من الإحساس بأنها لم تسلك سواء السبيل .

فضحكت "**فاليري**" وقالت :

– هل كنت تريدينها أن تشهر في وجهه مسدسًا لكي تظفر به ؟؟ لقد حققت أهدافها بعملية سرقة بسيطة .. ولكني أستحلفك بالله أن تقنعي "**سيليا**" بأن ترد إلى "**جنفييف**" علبتها ، وإلا فإننا لن نعرف للراحة طعمًا .

قالت ذلك وغادرت القاعة .

ولم تلبث السيدة "**هبارد**" أن سمعت صوتها بالبهو وهي تهتف بلطف :

– طاب صباحك يا "**سيليا**" .. لا يوجد أحد بالقاعة وكل شيء قد عرف ، وكل شيء على ما يرام .. أما عن "**كولين**" فأقول لك إنه دافع عنك دفاع الأبطال .

ودخلت "**سيليا**" .. كانت عيناها حمراوين من البكاء، فقالت السيدة "**هبارد**" :

– إنك تأخرت كثيراً يا "**سيليا**" .. لقد بردت القهوة ولم يبق من الطعام إلا القليل .

– لم أكن أود مقابلة الآخرين .

– هذا ما فهمته .. ولكنك لابد أن تقابليهم إن عاجلاً أو آجلاً .

– أعلم ذلك .. ولكن خيل إليّ أن المقابلة في المساء قد تكون أيسر .. ومهما يكن من أمر فإنني سأغادر هذا البيت في نهاية الأسبوع .

فقطبت السيدة "**هبارد**" جبينها وقالت :

– أظن أنه لا ضرورة لذلك .. يجب أن تتوقعي بعض المضايقات على كل حال، ولكنهم في مجموعهم كرام الأخلاق متفتحو العقول .. وطبيعي أنك ستعوضينهم عما فقدوا بقدر المستطاع .

فقالت الفتاة بحدة :

– نعم .. نعم .. كنت أريد أن أحدثك في ذلك .. لقد أحضرت معي دفتر الشيكات .

وبسطت يدها فإذا بها دفتر الشيكات وخطاب.

قالت :

– كان في نيتي أن أترك لك هذه الرسالة إذا لم أجدك هنا .. إنني عبرت لك فيها عن أسفي وكنت سأرفق بها شيكًا لإبراء ذمتي لدى الآخرين ولكن قلمي فرغ من الحبر .

– يجب أن نضع قائمة بالأشياء التي فقدت .

– إنني أعددت هذه القائمة بالفعل ، ولكنني لا أعلم هل أشتري بدلها أو أعطيهم ثمنها .

– لا أستطيع أن أبدي رأيًا الآن ولكني سأفكر في الأمر .

– سأعطيك شيكًا الآن ليرتاح ضميري .

– على رسلك .

وتناولت السيدة "**هبارد**" القائمة ونظرت إليها ثم قالت :

– من الصعب تقدير ثمن جزافي .

– اذكري رقمًا على وجه التقريب وسأكتب به شيكًا على أن نتحاسب فيما بعد .

فذكرت السيدة "**هبارد**" رقمًا يزيد قليلاً على الثمن الذي قدرته ، ووافقت "**سيليا**" على الفور وهمت بكتابة الشيك، ثم تذكرت أن القلم ليس به حبر ، فراحت تبحث بين الأدوات التي تركها أصحابها على الأرفف وأخيرًا قالت :

– يبدو أنه لا يوجد سوى محبرة "**نيجل**" .

وملأت قلمها بالحبر الأخضر وكتبت الشيك ، ثم نظرت إلي ساعتها وقالت :

– يحسن بي أن أتجاوز عن طعام الفطور فقد تأخرت بالفعل عن موعدي .

– لا تذهبي بمعدة خالية يا "**سيليا**" ، تناولي ولو قطعة خبز بالزبد .. آه .. ماذا تريد يا "**جيرونيمو**" ؟

وكان الخادم الإيطالي قد جاء في البحث عنها ، فقال :

– إن السيدة تريد التحدث إليك .

فغادرت السيدة "**هبارد**" القاعة بينما كانت "**سيليا**" تلتهم كسرة خبز .

وكانت السيدة "**نيكوليتس**" تسير في غرفتها جيئة وذهابًا وهي أشبه بالنمر في قفصه قبيل وقت الغداء ، وما إن وقع بصرها على السيدة "**هبارد**" حتى صاحت :

– ما هذا الذي سمعته ؟ هل صحيح أنك أرسلت في طلب الشرطة بدون علمي؟ من تظنين نفسك أيتها المرأة ؟

– إنني لم أرسل في طلب الشرطة .

– أنت كاذبة .

– أصغي إليّ يا سيدة "**نيكوليتس**" .. إنني لا أسمح لك بأن تحدثيني بهذا الأسلوب .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. لأنني أنا المخطئة لا أنت .. أنا دائمًا المخطئة .. أما أنت فإنك دائمًا على صواب .. الشرطة في بيتي المحترم ؟ يا للكارثة .. !!

– لو قدم رجال الشرطة فلن تكون هذه أول مرة .. إنهم قدموا قبل ذلك للبحث

عن طالب جزر "**الهند الغربية**" الذي كان يعيش من كد النساء . وقدموا مرة أخرى للقبض على الشاب الشيوعي الذي كان يقيم في هذا البيت تحت اسم مستعار.

– أتعيرينني بذلك ؟ وهل ذنبي أن الناس يكذبون عليّ ويقدمون لي أوراقًا زائفة؟

– إنني لا أعيِّرك .. إنما أردت فقط أن أقول لك إن قدوم الشرطة لن يكون أمرًا جديدًا على هذا البيت .. بل إن قدومهم يجب أن يكون مألوفًا في مكان مثل هذا يأوي إليه خليط من الطلاب من جميع الأجناس .. بيد أن الحقيقة هي أن لا أحد قد استدعى رجال الشرطة .. كل ما هنالك أن بوليسًا سريًا خاصًّا ذا شهرة عريضة تناول العشاء هنا ليلة أمس بدعوة مني .. ثم ألقى على الطلاب محاضرة طريفة عن علم الإجرام .

– كما لو أن الطلاب بحاجة إلى من يحدثهم عن علم الإجرام .. !! إنهم يعرفون عن هذا العلم ما فيه الكفاية .. فهم يسرقون ويتلفون ويدمرون ولا أحد يفعل شيئًا لردعهم .

– لقد فعلت .

– نعم .. إنك كشفت لصديقك رجل البَوليس السري عن كل أسرار هذا البيت ودخائله وهو ما أعده خيانة للأمانة .

– أبدًا .. أنا المسؤولة عن إدارة هذا البيت ، ويسرني أن أنبئك بأن الموضوع قد انتهى وأن إحدى الفتيات اعترفت بمسؤوليتها عن أغلب حوادث السرقة .

– قبحها الله .. ألقي بها في الشارع .

– إنها على استعداد لمغادرة البيت من تلقاء نفسها وقد عوضت من أضيروا تعويضًا كاملاً .

– وما الفائدة ؟ لقد ساءت سمعة البيت وانتهى الأمر . ولن نرى بعد الآن نزلاء جددًا .

قالت ذلك وتهالكت على الأريكة وانخرطت في البكاء . ثم تمتمت :

– لا أحد يفكر في أو يقدر شعوري كما لو كنت كمًّا مهملاً .

وفي مساء ذلك اليوم ، وضعت السيدة "**هبارد**" في كل غرفة بطاقة تدعو فيها النزلاء إلى مقابلتها قبل العشاء ، فلما اجتمعوا معها أعلنت إليهم أن "**سيليا**" أناطت بها مهمة تعويضهم عما فقدوا ، فقابلوا ذلك بالارتياح والرضا ، وعبرت "**جنفييف**" عن ابتهاجها بقولها :

– يبدو أن "**سيليا**" فتاة غنية وليست بحاجة إلى السرقة .. لابد أن الأمر ليس سوى أزمة عصبية كما قال السيد "**ماكناب**" .

وعندما دق الجرس في قاعة الطعام ليدعو النزلاء لتناول العشاء ، انتحى "**ليونارد بيتسون**" بالسيدة "**هبارد**" ناحية وقال لها :

– سأنتظر "**سيليا**" في البهو وأرافقها إلى قاعة الطعام لكي تشعر بأن كل شيء على ما يرام .

– جميل منك أن تفعل ذلك يا "**ليونارد**" .

وما إن شرع الجميع في تناول العشاء حتى سمعوا صوت "**بيتسون**" في البهو وهو يقول :

– تعالي يا "**سيليا**" .. الجميع هنا أصدقاؤك ويحبونك .

ودخلت "**سيليا**" و"**بيتسون**" يحيطها بساعده ، فرحب بها الجميع ولوح لها "**نيجل**" بيده محيياً، وساد القاعة جو من المرح والإخاء .. إلى أن قال "**أكيبومبو**" وهو يبتسم في وجه "**سيليا**" :

– لقد أوضحوا لي كل ما استعصى علي فهمه .. يبدو أنك فتاة بارعة .. كنت تسرقين طوال الوقت ولم يفطن إليك أحد .. حقًّا إنك لفتاة بارعة .

فوثبت "**سالي فينش**" من مقعدها وصاحت وهي تكاد تغص بالطعام :

– "**أكيبومبو**" .. إن سذاجتك ستقتلني .

وأسرعت إلى البهو لتلفظ ما في فمها ، وانفجر الجميع ضاحكين بطريقة طبيعية.

*****

وجاء "**كولين ماكناب**" متأخرًا ، وكان يبدو أكثر انطواء ووجومًا من المعتاد ، ولم يتناول من الطعام إلاَّ قليلاً ، ثم نهض وقال بشيء من الارتباك :

– آسف .. يجب أن أنصرف لأنني على موعد ، ولكني أود أن تكونوا أول من يعلم .. إنني و"**سيليا**" سنتزوج في العام القادم حينما أفرغ من دراستي .

وتقبل تهنئات الزملاء ونكاتهم وهو يكاد يذوب خجلاً ..

واستطاع أخيرًا أن يلوذ بالفرار .

أما "**سيليا**" فقد تضرج وجهها احمرارًا، ولكنها ظلت هادئة ثابتة الجنان .

وتنهد "**بيتسون**" وقال :

– ها هو ذا إنسان طيب آخر يسقط في الميدان .

وقالت "**باتريشيا**" :

– كم أنا مسرورة لك يا "**سيليا**" .. !! إنني أرجو لك كل السعادة .

وقال "**نيجل**" :

– الآن قد صفا الجو تمامًا .. وغدًا سنحضر كمية كبيرة من الشراب لنشرب نخب صحتك يا "**سيليا**" .. ولكن مالي أراك واجمة يا عزيزتي "**جين**" ؟ ألا توافقين على مبدأ الزواج ؟

– بالتأكيد أوافق .

– أظن أن الزواج أفضل من ممارسة الحب بلا قيود .. أفضل بالنسبة إلى الأولاد .. وأجمل وقعًا في جوازات السفر .

فقالت "**جنفييف**" :

– ولكن يحسن دائمًا ألاَّ تكون الأم صغيرة السن .. هذا ما يقولونه لنا في علم الفسيولوجيا .

فقال "**نيجل**" :

– لا شك في أنك لا تعنين أن "**سيليا**" لا تزال دون سن البلوغ ؟ إنها فتاة حرة وبيضاء .. وفي الحادية والعشرين من عمرها .

فصاح "**شندرالال**" محتجًا :

– هذه ملاحظة مهينة .

فقالت "**باتريشيا**" :

– لا يا سيد "**شندرالال**" .. هذه ليست سوى عبارة تقليدية لا تعني شيئًا .

فقال "**أكيبومبو**" :

– إنني لا أفهم .. إذا كانت العبارة لا تعني شيئًا ، فلماذا تقال ؟

- 7 -

لم يحدث قط أن تأخرت الآنسة "**ليمون**" عن موعد حضورها في الساعة العاشرة صباحًا ، مهما كانت ظروف الجو أو المواصلات ، أو مدى انتشار الإنفلونزا أو غيرها من الأوبئة . ولكنها تأخرت عن موعدها في هذا الصباح ، ودخلت مهرولة وقالت معتذرة :

– إنني جد آسفة يا سيد "**بوارو**" .. فقد كنت أهم بمغادرة البيت حين اتصلت بي أختي تليفونيًّا .

– أرجو أن تكون بخير .

– الواقع أنها في أشد حالات الحزن والألم .. فقد انتحرت إحدى الفتيات .

فتمتم "**بوارو**" بكلمات غير مفهومة .. وسأل :

– ما اسم الفتاة ؟

"**سيليا أوستن**" .

– وكيف ؟

– يظن أنها انتحرت بالمورفين .

– ألا يمكن أن تكون قد تناولته خطأ ؟

– لا .. إنها تركت رسالة .

فقال "**بوارو**" بصوت خافت :

– كنت أتوقع شيئًا .. ولكن ليس هذا .

ورأى الآنسة "**ليمون**" تقف أمامه والقلم في يدها استعداداً لكتابة ما يمليه عليها ولكنه هز رأسه وقال :

– لا .. سأترك لك بريد الصباح فضعي الرسائل في ملفاتها وأجيبي عما تستطيعين الإجابة عنه . أما أنا فسأذهب إلى شارع "**هيكوري**" .

❁❁❁❁❁

وفتح له "**جيرونيمو**" الباب ، وعرف فيه ضيف الشرف الذي زار البيت منذ يومين فهتف بصوت خافت :

– أهذا أنت يا سيدي ؟ نحن في دوامة ... لقد وجدت الآنسة الصغيرة ميتة في فراشها هذا الصباح وجاء الطبيب وهز رأسه، ثم جاء مفتش البوليس وهو الآن يتحدث مع السيدة "**هبارد**" وصاحبة البيت . لماذا أقدمت المسكينة على قتل نفسها وقد كان يوم أمس مرحًا جميلاً أعلنت فيه خطبتها ؟

– خطبتها .. ؟

– نعم خطبتها للسيد "**كولين**" .. ذلك الشاب الطويل الذي يدخن الغليون .

وفتح "**جيرونيمو**" باب قاعة الجلوس الكبرى ودعا "**بوارو**" إلى دخولها قائلاً :

– انتظر هنا حتى ينصرف مفتش البوليس وسأنبئ السيدة "**هبارد**" بقدومك .

وانصرف الخادم ، وضرب "**بوارو**" عرض الأفق باعتبارات اللياقة ، وشرع في فحص كل شيء في الغرفة .. وخصوصًا أدوات الطلبة والطالبات ، ولكنه لم يقع على شيء مهم لأن الطلبة كانوا يحتفظون بحاجاتهم وأوراقهم الخاصة في غرف النوم .

❁❁❁❁❁

وفي الطابق الأول ، كانت السيدة "**هبارد**" تجلس أمام المفتش "**شارب**" الذي راح يلقي عليها الأسئلة بصوت هادئ مهذب .

قال :

– أعلم أن الحادث قد أزعجك وآلمك ، ولكن لابد أن يجري فيه تحقيق كما قال الدكتور "**كولز**" .. ولهذا يجب أن تكون لدينا صورة واضحة لكل التفصيلات. قلت إن الفتاة كانت مهمومة وتعسة في المدة الأخيرة .. أليس كذلك ؟

– بلى .

– بسبب الحب ؟

فأجابت بعد تردد قصير :

– لا .. لم يكن الحب هو السبب المباشر .

– يحسن بك أن تصارحيني لكي أرى الصورة بوضوح .. هل كانت هناك أسباب أو هل توهمت الفتاة أن هناك أسبابًا تدعوها إلى الانتحار ؟ هل ثمة احتمال أنها كانت حاملاً ؟

– لا .. إطلاقًا .. إن سبب ترددي أيها المفتش هو أن الفتاة ارتكبت بعض الحماقات ، وقد كنت أرجو ألا أضطر إلى الجهر بها .

فسعل المفتش "**شارب**" وقال :

– إن الكتمان من أبرز فضائلنا يا سيدتي والمحقق رجل واسع التجارب .

– الواقع أنه حدث خلال الأشهر الثلاثة أو الأربعة الأخيرة أن اختفت بعض أشياء صغيرة .. أعني أشياء ليست ذات قيمة كأدوات الزينة وجوارب النايلون.. وما يشبه ذلك ..

– وهل اختفت بعض النقود ؟

– لا .

– وهل كانت الفتاة هي المسؤولة عما حدث ؟

– نعم .

– هل ضبطت متلبسة ؟

– لا .. ولكن حدث منذ ليلتين أنني دعوت صديقًا لتناول العشاء .. اسمه "**بوارو**" .. "**هركيول بوارو**" .. هل سمعت به ؟

فرفع "**شارب**" رأسه بحدة وقال :

– "**بوارو**" .. ؟ بالتأكيد سمعت به ؟

– إنه تحدث إلينا بعد العشاء وأثير موضوع السرقات فنصح لنا – على مسمع من الجميع – بأن نبلغ الشرطة .

– أفعل ذلك حقًّا ؟

– نعم .. وبعد قليلٍ ، جاءت "**سيليا**" إلى غرفتي واعترفت بكل شيء .. وكانت في أشد حالات التعاسة .

– هل كان في النية اتهامها رسميًّا ؟

– لا .. لأنها أبدت استعدادها لتعويض من أضيروا .. وعاملها الجميع بالعطف والحسنى .

– هل كانت تعاني عسراً ماليًّا .. ؟

– لا .. كانت تتقاضى مرتبًا من عملها كصيدلانية في مستشفى "**سانت كاترين**" .. وكان لها فيما أعتقد إيراد خاص .. الواقع أنها كانت أفضل حالاً من كثيرين من النزلاء .

فقال "**شارب**" وهو يسجل هذه المعلومات :

– إذن فهي لم تكن بحاجة إلى السرقة .. ولكنها سرقت .

– أظن أنها كانت مصابة بمرض السرقة .

– هذا هو العذر المألوف في مثل هذه الحالات .

– إنك تظلمها أيها المفتش .. الواقع أنها تحب شابًّا .

– وتخلى عنها عندما افتضح أمرها ؟

– بل النقيض .. إنه دافع عنها بقوة .. بل وأعلن خطبته لها بعد العشاء ليلة أمس .

فرفع المفتش حاجبيه في دهشة وقال :

– ومن ثم ذهبت إلى غرفتها وانتحرت .. ؟ ألا ترين أن ذلك أمر يبعث على الدهشة ؟

– بلى .. ولقد استعصى عليّ فهمه .

كانت قسمات وجهها تنم عن الحيرة والأسى .

قال المفتش "**شارب**" وهو يشير إلى قصاصة من الورق على منضدة أمامه .

– ومع ذلك فالحقائق واضحة .

وتناول قصاصة الورق وقرأ فيها :

"عزيزتي السيدة "**هبارد**" :

إنني جد آسفة واظن ان هذا أفضل شيء أستطيع عمله" .

واستطرد المفتش قائلاً :

– إن الورقة لا تحمل توقيعًا . . فهل أنت واثقة بأن هذا خطها . . ؟

فأجابت في شيء من التردد :

– نعم .

ونظرت إلى قصاصة الورق وقطبت حاجبيها .

ترى ما معنى هذا الشعور القوي بأن في هذه الورقة ما يريب . . ؟

قال المفتش :

– توجد على الورقة بصمات أصبع واحدة هي بالتأكيد بصماتها . . وكان المورفين في زجاجة عليها بطاقة تحمل اسم مستشفى "**سانت كاترين**" . . وهو المستشفى الذي قلت إنها تعمل في صيدليته . . وطبيعي أن خزانة المواد السامة كانت في متناول يدها بحكم عملها في الصيدلية ، ومن المؤكد أنها أحضرت الزجاجة معها أمس وفي نيتها أن تنتحر .

– لا أستطيع أن أصدق ذلك . . إنها كانت في منتهى السعادة أمس .

– إذن لابد أن نفترض أن هذه السعادة كان لها رد فعل انعكست آثاره عليها عندما أوت إلى فراشها . . أو ربما كان في ماضيها أكثر مما تعلمون فخشيت أن يفتضح أمرها . . هل تعتقدين أنها كانت مدلهة بحب ذلك الشاب ؟

وبالمناسبة ، ما اسمه ؟

– "**كولين ماكناب**" . . وهو يتلقى منهجًا إضافيًا بمستشفى " **سانت كاترين**" . . وأعتقد أن "**سيليا**" كانت تحبه أكثر مما كان هو يحبها .

– يحتمل إذن أن يكون هذا هو السبب .. ولعلها شعرت بأنها ليست جديرة به .. أو لعلها لم تحدثه عن نفسها بكل ما كان ينبغي أن تصارحه به .. هل كانت في مقتبل العمر ؟

– كانت في الثالثة والعشرين .

– إنها سن التفاني في الحب والتشبث بالمثل العليا .. مسكينة هذه الفتاة..!!

ونهض واقفًا وقال :

– أخشى أن تنكشف الحقائق كلها .. ولكننا سنبذل قصارى جهدنا لإخفائها.. أشكرك يا سيدة "**هبارد**" على ما زودتني به من معلومات .. هل قلت إن أمها توفيت منذ عامين وإن أقرب الناس إليها هي عمتها العجوز التي تقيم في "**يوركشاير**" .. ؟ حسنًا .. سنتصل بها فوراً .

وتناول قصاصة الورق التي كتبتها "**سيليا**" .

وفجأة قالت السيدة "**هبارد**" :

– هذه الورقة تثير ريبتي .

– تثير ريبتك ؟ كيف ؟

– لا أعلم .

– ألست واثقة بأن هذا خطها ؟

ومرت بيدها على جبينها ثم هزت رأسها وقالت معتذرة :

– إنني اليوم متبلدة العقل .. ولا أستطيع التفكير .

– أعلم أنه كان يومًا مضنيًا بالنسبة إليك يا سيدة "**هبارد**" ، ولكننا لن نزعجك بمزيد من الأسئلة في الوقت الحاضر .

وفتح المفتش الباب ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام "**جيرونيمو**" الذي كان ملتصقًا بالباب ، فقال له باسمًا :

– هل كنت تسترق السمع ؟

فقال الخادم مستنكرًا :

– لا يا سيدي .. إنني لا أسترق السمع أبدًا بل جئت برسالة إلى سيدتي.

– ادخل إذن .

وتظاهر المفتش بالانصراف ، ثم دار على عقبيه ، وتسلل عائداً ليتحقق مما إذا كان الخادم قد قال الصدق .

سمعه يحدث السيدة "**هبارد**" بقوله :

– إن السيد الذي تناول طعام العشاء هنا منذ يومين ينتظرك في القاعة .. السيد ذو الشاربين الكثيفين .

– شكراً لك يا "**جيرونيمو**" .. قل له إنني سأذهب إليه بعد لحظة .

وقال "**شارب**" لنفسه :"السيد ذو الشاربين الكثيفين ؟ أظن أنني عرفته" . وهبط درج السلم وقصد إلى قاعة الجلوس ورأى "**بوارو**" وهتف :

– مرحبًا .. يا سيد "**بوارو**" .. إننا لم نلتق منذ وقت طويل .

وكان "**بوارو**" جالسًا القرفصاء أمام رف بجوار المدفأة فنهض واقفًا في هدوء . وصاح :

– من ذا الذي أرى ؟ المفتش "**شارب**" ؟ ولكنك لم تكن تعمل في هذه المنطقة .

– إنني نقلت إلى هنا منذ عامين .. هل تتذكر قضية "**جرين هيل**" ؟

– آه .. لقد انقضى عليها وقت طويل .. أنت لا تزال في شرخ الشباب أيها المفتش .. أما أنا فقد أدركتني الشيخوخة .

– ولكنك ما زلت تجد مجالاً لنشاطك يا سيد "**بوارو**" .

– ماذا تعني ؟

– أعني أنني أريد أن أعرف لماذا جئت إلى هذا البيت منذ أيام لتحدث نزلاءه عن الجريمة والمجرمين.

فابتسم "**بوارو**" وقال :

– الجواب بسيط .. إن السيدة "**هبارد**" هي أخت سكرتيرتي الرائعة الآنسة "**ليمون**" ..

– فلما طلبت إليك أن تقوم بالتحقيق فيما يحدث هنا .. حضرت على الفور .. أليست هذه هي الحقيقة ؟

– بلى .

– ولكن لماذا ؟ إن الأمر لم يكن من الخطورة والأهمية حتى يتطلب جهود رجل مثلك .

فهز "**بوارو**" رأسه وأجاب :

– إنه ليس من البساطة كما تتوهم أيها المفتش .

– لماذا ؟ وما وجه التعقيد فيه ؟

فجلس "**بوارو**" على أحد المقاعد وقال ببساطة :

– ليتني أعلم .

– ماذا تعني ؟

– إن الأحداث التي وقعت هنا كلها تافهة ولكنها مختلفة ولا رابط بينها يجعل لها معنى .. إنها أشبه بخط متصل من آثار أقدام لم تطبعها القدم نفسها .. بعض الأحداث يحمل طابع "**سيليا أوستن**" .. وبعضها تفوح منه رائحة الشر وسوء النية.. و"**سيليا أوستن**" لم تكن شريرة أو سيئة النية .

– هل كانت مصابة بداء السرقة ؟

– إنني أشك في ذلك .

– إذن هي ليست سوى لصة عادية .

– ليس بالمعنى الذي تتخيله .. والرأي عندي أن جميع السرقات التافهة التي حدثت كان الغرض منها لفت نظر شاب بعينه .

–"**كولين ماكناب**" ؟

– نعم .. إنها أحبته بجنون، ولم يكن يعيرها اهتمامًا، وبدلاً من أن تتصرف كفتاة جميلة مهذبة ، عمدت إلى القيام بدور الفتاة المنحرفة المعقدة نفسيًّا ؛ لكي تثير اهتمامه باعتبارها حالة تستحق الدراسة .. وكللت خطتها بالنجاح ووقع "**كولين ماكناب**" في الفخ .

– لابد أنه مغفل كبير .

– لا .. إنه دارس متعمق في البحوث النفسية .

– يا لها من فتاة ذكية .. !!

– أعتقد أن الفكرة ليست فكرتها وأن بعضهم أوحى بها إليها .

– ومن تظنه الذي أوحى إليها بذلك ؟

– لست على يقين بعد .

– ولكن إذا كانت الخطة قد نجحت .. فلماذا أقدمت الفتاة على الانتحار ؟

– الجواب هو أنها ما كان يجب أن تنتحر .

وتلاقت نظرات الرجلين ، وساد الصمت بينهما لحظة وأخيراً قال "**بوارو**" :

– إن الأمر واضح كالشمس .. وليس هناك ما يشير إلى أي احتمال آخر .

وفتح الباب في هذه اللحظة ، ودخلت السيدة "**هبارد**" وفي عينيها نظرة انتصار. هتفت قائلة :

– لقد عرفت السبب أيها المفتش .. طاب صباحك يا سيد "**بوارو**" .. إنني عرفت لماذا أثارت تلك الورقة ريبتي .. إن "**سيليا**" لم تكتبها .

– لماذا .. ؟

– لأن الكتابة بالحبر الأزرق .. في حين أن "**سيليا**" ملأت قلمها صباحًا بحبر أخضر من محبرة "**نيجل شابمان**" .

فنظر إليها المفتش طويلاً ثم هرول إلى الخارج .

وعاد بعد بضع دقائق وهو متجهم الوجه .

قال :

– أصبت .. فليس في غرفة الفتاة سوى قلم واحد وجدته بالقرب من فراشها وهذا القلم مليء بالحبر الأخضر .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– أكبر الظن أن هذه الورقة قد قطعت من الرسالة التي كتبتها "**سيليا**" إليّ ولم أقرأها .. كانت الرسالة في يدها عندما تركتها في قاعة الطعام وانطلقت لبعض شؤوني .. ولابد أن تكون "**سيليا**" قد وضعتها على المائدة ثم نسيتها تمامًا .

– وجاء بعضهم ووجد الرسالة وفضها و .. ولكن هل تدركين معنى هذا ؟

الواقع أنني لم أكن مطمئناً إلى قصاصة الورق ، فقد وجدت في غرفة الفتاة أكداساً من الأوراق البيضاء .. كان في مقدورها أن تكتب رسالة الانتحار على ورقة منها . وهذا معناه أن بعضهم وجد السطور الأولى من رسالة الفتاة إليك حيث يمكن استخدامها للإيحاء بفكرة الانتحار .. فاقتطعها من الرسالة .

وصمت قليلاً ثم قال ببطء :

– وهذا معناه ..

فأكمل "**بوارو**" العبارة :

– معناه أننا حيال جريمة قتل .

- 8 -

قال المفتش "**شارب**" وهو يرتشف الشاي :

– أرجو ألاّ يكون قدومي على هذا النحو قد ضايقك يا سيد "**بوارو**" .. الواقع أنني وجدت لديّ ساعة فراغ قبل أن يعود الطلاب إلى البيت .. إنني أعتزم استجوابهم جميعاً . وهي مهمة أصارحك بأنني لا أرحب بها كل الترحيب .

إنك قابلت بعضهم منذ أيام فهل يمكنك إمدادي ببعض المعلومات عنهم ؟

– قد تكون السيدة "**هبارد**" خير معين لك في هذا الصدد ، فإنها تعاشرهم منذ بضعة أشهر . وصلتها بهم وثيقة .. ولها رأي سليم في حكمها على الناس .

– نعم .. إنها على جانب عظيم من الكفاية وسأعتمد عليها .. كذلك يجب أن أقابل صاحبة البيت .. إنها لم تكن هناك صباح اليوم ، وقيل لي إنها تملك عدداً من البيوت المماثلة .. وبعض أندية الطلاب .. ويخيل إليّ أنها ليست محبوبة كثيراً .

فصمت "**بوارو**" لحظة ثم سأل :

– هل ذهبت إلى مستشفى "**سانت كاترين**" ؟

– نعم ، وكان كبير الصيادلة متعاوناً إلى أبعد حد ، وقد راعه نبأ وفاة الفتاة .

– ماذا قال لك عنها ؟

– قال إنها عملت بالمستشفى قرابة عام وإنها كانت محبوبة من الجميع .. ووصفها بأنها لم تكن لامعة الذكاء ولكنها دقيقة في عملها .

وتريث قليلاً ثم أضاف :

– كانت صيدلية المستشفى هي مصدر المورفين بالفعل .

– أحقًّا؟ هذا أمر مثير .. بل محير .

– إن المادة هي "**طرطيرات المورفين**" .. التي يضعونها على الرف العلوي بخزانة المواد السامة ، بين العقاقير التي بطل استخدامها بسبب ظهور عقاقير أحدث وأفضل .. والعقار الجديد الذي حل محل "**طرطيرات المورفين**" هو "**هيدروكلوريد المورفين**" .

– إذن فإن اختفاء زجاجة صغيرة يعلوها الغبار من بين زجاجات العقاقير التي بطل استخدامها هو أمر لا يمكن ملاحظته فوراً ؟

– نعم .. خصوصاً أن عملية الجرد تُجرى في فترات متباعدة ، وعلى ذلك فإن اختفاء أحد العقاقير لا يمكن اكتشافه إلاّ في حالة طلب هذا العقار بالذات أو عند إتمام الجرد .

هذا وتحتفظ كل من الصيدلانيات الثلاث بمفتاح لخزانة العقاقير السامة والخطرة ، ولما كان ضغط العمل في الصيدلية متواصلاً ليلاً ونهاراً ، فإن الخزانة تترك مفتوحة بصفة شبه دائمة .

– ومن له حق دخول الصيدلية عدا "**سيليا**" ؟

– زميلتاها اللتان تعملان معها . وليست لهما صلة ببيت الطالبات .. إحداهما تعمل بالمستشفى منذ أربعة أعوام ، والثانية منذ بضعة أسابيع. وكانت قبلاً تعمل بمستشفى "**ديفون**" . وكلتاهما ذواتا ماض نظيف .

. ثم هناك الصيادلة الثلاثة الكبار .. وهم يعملون بالمستشفى منذ بضع سنوات عديدة .

أولئك هم الأشخاص الذين لهم – بحكم عملهم – حق دخول الصيدلية

والوصول إلى خزانة العقاقير السامة .

وماعدا هؤلاء وأولئك توجد الخادمة العجوز التي تنظف أرض الصيدلية ، وهي تؤدي عملها فيما بين التاسعة والعاشرة صباحًا كل يوم، وفي استطاعتها بطبيعة الحال أن تنتهز فرصة انشغال الفتيات الثلاث بتلبية مطالب المستشفى ، لتختلس زجاجة من خزانة العقاقير السامة .. ولكنه احتمال بعيد، لأنها امرأة مشهود لها بالأمانة .

– هل يدخل الصيدلية أحد من غير العاملين فيها .. ؟

– يدخل كثيرون .. وخصوصاً مندوبي شركات الأدوية الذين يعبرون الصيدلية للوصول إلى مكتب كبير الصيادلة .. والأصدقاء الذين يحضرون أحيانًا لزيارة العاملين بالصيدلية .

– هل ذهب أحد لزيارة "**سيليا أوستن**" في الفترة الأخيرة ؟

فبحث "**شارب**" في دفتر مذكراته وأجاب :

– نعم فتاة تدعى "**باتريشيا لين**" ذهبت لزيارتها يوم الثلاثاء الماضي ، وطلبت إليها أن تلحق بها في السينما بعد فراغها من عملها بالصيدلية .

فردد "**بوارو**" وهو مستغرق في التفكير :

– "**باتريشيا لين**" .. !!

– إنها لم تمكث أكثر من خمس دقائق ولم تقترب من خزانة العقاقير السامة ودار الحديث بينها وبين "**سيليا**" من خلال النافذة الخاصة بمرضى القسم الخارجي .. كذلك زارت المستشفى منذ أسبوعين فتاة ملونة عالية الثقافة ، ألقت طائفة من الأسئلة وسجلت بعض الملاحظات . وكانت تتكلم الإنجليزية بطلاقة .

– لابد أنها "**إليزابيث جونستون**" .

– كانت أسئلتها تدور حول العيادة المجانية ، واستفسرت عن الأدوية التي توصف للأمراض الجلدية والمعوية .

– وهل يذهب الأطباء إلى الصيدلية .. ؟

فأجاب "**شارب**" وهو يبتسم :

دائماً .. بصفة رسمية أو غير رسمية .. للتحقق من وجود دواء معين أو بديل له ، أو لتناول قرص من الأسبيرين، أو لتبادل كلمة غزل مع إحدى الفتيات .

– إن أحد نزلاء بيت شارع "**هيكوري**" يتلقى تدريبا بمستشفى "**سانت كاترين**" على ما أذكر .

– نعم .. إنه "**ليونارد بيتسون**" .. وهناك أيضاً "**كولين ماكناب**" الذي يتلقى منهجاً إضافيًّا في الأمراض النفسية .. و"**جين توملنسون**" ، التي تعمل في قسم الفسيولوجيا .

– بالطبع كل هؤلاء كانوا يترددون على الصيدلية .. ؟

– نعم .. والأدهى أن أحداً لا يفكر على وجه الدقة متى اجتمعوا في الصيدلية لآخر مرة .

وصمت مفتش البوليس قليلاً ثم قال :

– من الواضح أن بعضهم سمم الفتاة المسكينة ، ثم وضع زجاجة "**طرطيرات المورفين**" وقصاصة الورق في غرفتها ليوهم أنها انتحرت .. ولكن لماذا قتلت الفتاة يا سيد "**بوارو**" .. ؟ لماذا .. ؟

فهز "**بوارو**" رأسه ولم يجب .

قال المفتش :

– أذكر أنك ألمحت صباح اليوم إلى احتمال أن يكون بعضهم قد أوحى إلى "**سيليا**" بفكرة التظاهر بمرض "**الكلبتومانيا**" .

– هذا رأي شخصي لأن الفتاة لم تكن من وفرة الذكاء حتى تستطيع وحدها وضع مثل هذا المخطط .

– ومن تظنه أوحى إليها بالفكرة .. ؟

– يوجد على قدر ما أعلم ثلاثة أشخاص يمكن أن تتفتق أذهانهم عن مثل هذا التدبير .. "**ليونارد بيتسون**" الذي يعرف مدى ولع "**كولين**" بدراسة الحالات النفسية الطريفة .. ويحتمل أن يكون قد أوحى إلى "**سيليا**" بالفكرة على سبيل المزاح ودربها على الدور الذي تقوم به ، و"**نيجل شابمان**" الساخر الخبيث الذي ربما

ظن أنها ستكون مزحة طريفة .. وأعتقد أنه إنسان بلا ضمير ، ونموذج مكبر للطفل المدلل ، ثم "**فاليري هوبهاوس**" ، وهي فتاة ذكية ، ذات ثقافة عصرية وأفكار متطورة ، ولعلها أدركت من قراءاتها في علم النفس كيف سيكون رد الفعل عند "**كولين**" فأوحت إلى "**سيليا**" بما أوحت .. بدافع الحب أو العطف أو الرغبة في معابثة "**كولين**" والتغرير به واستغفاله .

فردد "**شارب**" وهو يكتب في دفتر مذكراته :

– "**ليونارد بيتسون**" ، "**نيجل شابمان**" ، "**فاليري هوبهاوس**" .. شكراً لك على هذه المعلومات يا سيد "**بوارو**" .. سوف أتذكرها عندما أستجوب هؤلاء الثلاثة .. ولكن ما قولك في الطالبين الهنديين .. ؟ إن أحدهما يدرس الطب .

– إنه مشغول بالسياسة ولا أعتقد أن "**سيليا أوستن**" تهمه إلى حد يحمله على اقتراح فكرة "**الكلبتومانيا**" ، كما أعتقد أن "**سيليا**" ما كانت لتقبل منه مثل هذا الاقتراح .

– هل هذا كل ما تستطيع أن تقدمه لي من معونة .. ؟

– أخشى ذلك .. وأظن أنه ليس أمامك سوى سبيل واحد للعمل .

– وهو .. ؟

فتنهد "**بوارو**" وأجاب :

– الكلام .. ومزيد من الكلام. جميع القتلة الذين قابلتهم كانوا يحبون الكلام.. والرأي عندي أن الرجل القوي قلما يرتكب جريمة قتل .. وإذا فعل ، فإنه يرتكب جريمته ببساطة وعنف ، أما القاتل الماهر الخبيث – فإن غروره وإحساسه بالرضا عن نفسه يدفعانه إن عاجلاً أو آجلاً إلى أن يقول كلمة تفضحه وتورده موارد التهلكة .فنصيحتي لك أيها العزيز هي أن تتحدث إلى هؤلاء الناس . ولا تقصر حديثك على الاستجواب فقط .. بل شجع وجهات نظرهم، واطلب معونتهم ، واسألهم رأيهم .. وعلى كل حال أنت لست بحاجة إلى من يعلمك مهنتك .. وأنا أعرف مقدرتك جيداً .

فقال "**شارب**" ببطء :

– أظن أن كل واحد منهم يمكن أن يكون هو القاتل .. ؟

– ذلك ما أظنه أيضًا، فـ"**ليونارد بيتسون**" سريع الانفعال والغضب، ويمكن أن يفقد سيطرته على نفسه .. و"**فاليري هوبهاوس**" ذكية وتستطيع أن تخطط ببراعة ، و"**نيجل شابمان**" أقرب إلى أن يكون طفلاً غير متزن التفكير .. وهناك فتاة فرنسية يمكن أن ترتكب جريمة قتل من أجل المال . و"**باتريشيا لين**" تغلب عليها عاطفة الأمومة ، ومن كانت من هذا الطراز لا تتورع عن أي عمل ، والأمريكية "**سالي فينش**" فتاة صريحة، ولكنها أقدر الجميع على التمثيل ، والتظاهر بما ليس فيها . و"**جين توملنسون**" فتاة لطيفة ومتدينة ..ولكننا قابلنا كثيراً من القتلة كانوا يترددون على الكنيسة أكثر من سواهم . والسمراء "**إليزابيث جونستون**" .. لعلها أعقل النزلاء جميعًا ، ثم هناك الشاب الإفريقي اللطيف ، وهذا الشاب قد تكون لديه دوافع للقتل لا نعرفها .. وهناك "**كولين ماكناب**" وهو طبيب نفسي .. ولكن ما أكثر الأطباء النفسيين الذين يصدق فيهم القول المأثور : "ابدأ بنفسك أيها الطبيب" .

– يا إلهي يا سيد "**بوارو**" !! إنك جعلت رأسي يدور .. ألا يوجد إنسان غير قادر على ارتكاب جريمة قتل .. ؟

- 9 -

تنهد المفتش "**شارب**" واعتدل في مقعده وجفف العرق المتصبب على جبينه .

كان قد فرغ لتوه من استجواب فتاة فرنسية سريعة الانفعال ، وشاب فرنسي غير متعاون ، وآخر هولندي عنيد ، وثالث مصري ذلق اللسان ، وتبادل بعض العبارات المقتضبة مع الشابين التركيين اللذين لم يفهما كلمة واحدة مما قال ، وفعل المثل مع شاب عراقي لطيف .

وخلص من هذه اللقاءات والأحاديث بأنه لا أحد من كل هؤلاء له أية صلة بالجريمة .. أو يستطيع معاونته على إماطة اللثام عنها فصرفهم جميعًا بعد أن قال

لهم بعض العبارات المطمئنة ، وتأهب لأن يفعل المثل مع الشاب الإفريقي "**أكيبو مبو**" .

قال له "**أكيبو مبو**" وفي عينيه نظرة بريئة كنظرات الأطفال ، وعلى شفتيه ابتسامة تكشف عن أسنانه الناصعة البياض :

– إنني على أتم استعداد للمعاونة فقد كانت الآنسة "**سيليا**" لطيفة جداً معي ، وأعطتني مرة علبة من حلوى لم أعرفها من قبل .. إن من المؤلم حقًّا أن تموت مقتولة .. ألا يحتمل أن تكون قتلت أخذاً بالثأر ؟ أو أن يكون بعض أهلها قد جاءوا لقتلها بعد أن بلغتهم أنباء زائفة عن سلوكها .. ؟

فأكد له المفتش "**شارب**" أن كل ذلك بعيد الاحتمال .

وهز الشاب رأسه في أسى وقال :

– إذن لماذا قتلت ؟ إنني لا أعرف هنا من يريد بها سوءاً .. أعطني خصلة من شعرها وقلامة من ظفرها وسأحاول الكشف عن الحقيقة بإحدى الوسائل القديمة .. لا أعني الوسائل العلمية .. أو العصرية .. بل الوسائل المعروفة في البلد الذي جئت منه .

– شكراً لك يا سيد "**أكيبومبو**" .. لا أظن أن ذلك ضروري .. إنهم لا يلجأون إلى مثل هذه الوسائل هنا .

– أعلم أنها ليست وسائل حديثة تلائم عصر الذرة .. بل إن الجيل الجديد من رجال الشرطة في بلادنا لا يلجأون إليها .. ولكنها وسائل سكان الغابات .. ومن المحتمل أن تنجح .

❁❁❁❁❁

كانت المقابلة التالية مع "**نيجل شابمان**" الذي بدا وكأنه يريد أن يأخذ بزمام المبادرة .

قال :

– إنها لقضية عجيبة حقًّا .. هل تعرف أيها المفتش ؟ لقد تبادر إلى ذهني لأول

وهلة أنك أخطأت حين صممت على أنه حادث انتحار .. وإنه ليثلج صدري أن أعلم أن الفضل في افتضاح الجريمة يعود في المقام الأول إلى أن " **سيليا** " ملأت قلمها بحبري الأخضر .. ولعل ذلك هو الشيء الوحيد الذي لم يستطع القاتل أن يتوقعه .. ترى هل عنيت بالبحث عن الدافع إلى الجريمة أيها المفتش ؟

فقال المفتش بجفاء :

– أنا الذي ألقي الأسئلة هنا يا سيد "**شابمان**" .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. إنما أردت فقط أن أختصر الحديث .. ذلك كل ما هنالك .. ولكن يبدو أنني يجب أن أمر بكل مراحل الروتين .

وعليه أقول إن اسمي "**نيجل شابمان**" وعمري 25 سنة .. ومولود في "**نجازاكي**" على ما أعتقد .. ولست أدري ماذا كان أبي وأمي يفعلان في هذه المدينة في ذلك الوقت . لعلهما كانا في رحلة حول العالم . وأنا الآن أدرس في جامعة "**لندن**" للحصول على دبلوم في تاريخ العصر الوسيط .. هل ثمة شيء آخر تريد أن تعرفه؟

– ما عنوان بيتك يا سيد "**شابمان**" .. ؟

– ليس لي عنوان بيت يا سيدي العزيز .. لي أب وقد تشاجرت معه وافترقنا فلم يعد عنوان بيته هو عنواني .. ومن يردني فعليه الاتصال برقم 26 شارع "**هيكوري**" ، أو بفرع بنك "**كورتس**" بشارع "**ليدنهول**" .

وأصغى "**شارب**" في هدوء إلى ثرثرة الشاب ، ولم تبد منه بادرة تعبر عن شعوره حيال قحته .

لقد قابل الكثيرين من أمثاله قبل الآن .. وعرف من تجاربه أن هذه القحة ليست إلاّ ستاراً يحاول الشاب أن يخفي وراءه توتر أعصابه وقلقه من الاستجواب .

سأله :

– ما مدى معرفتك بـ"**سيليا أوستن**" ؟

– هذا سؤال صعب .. إنني أعرفها جيداً في حدود مقابلاتي لها كل يوم تقريباً ، وفي إطار العلاقات المرحة التي كانت تربط بيننا .. وما عدا ذلك لم أكن أعرفها

على الإطلاق .. والواقع أنني لم أكن أهتم بها وأعتقد أنها بدورها كانت تتبرم بي.

– هل كانت تتبرم بك لسبب معين ؟

– لم تكن تحب دعاباتي .

– متى رأيت "**سيليا أوستن**" لآخر مرة ؟

– حول مائدة العشاء .. ثم بعد ذلك في قاعة الجلوس .

– هل جرت العادة على أن تتناولوا القهوة في قاعة الجلوس ؟

– نعم .. إذا صممت على تسمية السائل الأسود الذي يقدمونه لنا قهوة .

– وهل تناولت "**سيليا أوستن**" القهوة معكم؟

– أظن ذلك .. الواقع أنني لم أرها تتناول القهوة ولكن لابد أنها فعلت .

– ألم تقدم القهوة بنفسك ؟

– يا له من تلميح مخيف .. !! عندما تقول لي هذا الكلام وتنظر إليّ هذه النظرة.. أكاد أعتقد أنني قدمت القهوة لـ"**سيليا**" بعد أن مزجتها بالأستركنين.. أو لا أدري أي سم آخر ، ولكن الحقيقة يا سيد "**شارب**" هي أنني لم أقترب من "**سيليا**" بل لم أرها تتناول القهوة . وأستطيع أن أؤكد لك ، ولك أن تصدق أو لا تصدق ، أنني لم أكن قط مدلهًا بحب "**سيليا**" ، وأن إعلان خطبتها لـ"**كولين ماكناب**" لم يترك في نفسي أي شعور بالغضب أو الرغبة في الانتقام .

– إنني لا ألمح إلى شيء كهذا يا سيد "**شابمان**" .. ولكنني أعتقد أن بعضهم أراد إزالة "**سيليا أوستن**" من طريقه .. فلماذا ؟

– أنا لا أعرف لماذا .. والموضوع خليق بأن يثير الدهشة والتساؤل .. فقد كانت "**سيليا**" فتاة وديعة ومسالمة إلى أبعد الحدود .. هل تفهم ما أعني ؟ كانت محدودة الذكاء ومملة .. ولكنها هادئة ولطيفة.. وليست من النوع الذي يحمل الآخرين على قتله .

– هل دهشت عندما علمت أن "**سيليا أوستن**" هي المسؤولة عن السرقات التي حدثت هنا ؟

– يا سيدي العزيز .. إنني ترنحت من فرط الدهشة .. لأن ما حدث لم يكن يتفق مع طباعها وصفاتها .

– ألم يحدث مثلاً أنك أوحيت إليها بأن تفعل ما فعلت ؟

فبدت الدهشة على وجه "**نيجل**" وصاح :

– أنا .. ؟ ولماذا ؟

– هذا سؤال آخر ينتظر الإجابة .. إن بعض الناس يمازحون بطريقة غير مألوفة .

– قد أكون بطيء الفهم أيها المفتش .. ولكنني في الواقع لم أر للسرقات الحمقاء التي حدثت طابع المزاح .. بل من المؤكد أنها كانت نتيجة أزمة نفسية .

– هل تجزم بأن "**سيليا**" كانت مصابة بداء "**الكلبتومانيا**" ؟

– إنني لا أجد تفسيراً آخر .

– لعلك لا تعرف عن "**الكلبتومانيا**" قدر ما أعرف يا سيد "**شابمان**" ؟! .

– لم يخطر لي أي تفسير آخر .

– ألم يخطر لك أن يكون بعضهم قد أوحى إلى "**سيليا أوستن**" بأن تفعل ما فعلت كوسيلة – مثلاً – لإثارة اهتمام "**ماكناب**" بها ؟

فلمعت عينا "**نيجل**" بخبث وقال :

– الحق أن هذا تفسير طريف أيها المفتش .. ولعله التفسير الصحيح .. فلقد ابتلع "**كولين**" الطعم ووقع في الفخ .

وصمت قليلاً ، ثم هز رأسه وقال :

– ولكن "**سيليا**" كانت فتاة جادة لا تلعب مثل هذا الدور ، ثم إنها كانت مولعة بـ"**كولين**" ولا يمكن أن تسخر منه على هذا النحو .

– أليست لديك أية فكرة خاصة عن الأحداث التي وقعت في هذا البيت يا سيد "**شابمان**" ؟ عن سكب الحبر على أوراق "**إليزابيث جونستون**" مثلاً؟

– إذا كنت تعني أنني الذي سكبت الحبر فهذا غير صحيح من الطبيعي أن تحوم الشبهات حولي بسبب الحبر الأخضر ولكنها كانت عملية حقد .

– أي حقد ؟

– من استخدم الحبر إنما فعل ذلك عمداً لكي يثير الشبهات حولي .. إن هذا البيت مليء بالأحقاد أيها المفتش .

فنظر إليه المفتش بحدة وسأل :

– ماذا تعني بعبارة "مليء بالأحقاد" ؟

ولكن "**نيجل**" تقوقع على الفور وأجاب :

– أنا لم أعن شيئًا في الواقع .. فقط أردت أن أقول إنه عندما يجتمع عدد كبير من الناس في مكان واحد فلا مناص من أن تقع بعض الحماقات .

✽✽✽✽✽

كان التالي في قائمة المفتش "**شارب**" هو "**ليونارد بيتسون**" . ودخل "**ليونارد**" فإذا هو أشد توتراً من "**نيجل**" .. وإن يكن توتره قد اتخذ مظهراً مختلفًا تمامًا .. هو مظهر العنف والارتياب ..

وقد انفجر الشاب بعد الأسئلة الروتينية المألوفة قائلاً :

– نعم أنا الذي ملأت القدح بالقهوة وقدمته إلى "**سيليا**" . فماذا في ذلك ؟

– أتعترف بأنك الذي قدمت إليها القهوة بعد العشاء يا سيد "**بيتسون**"؟

– نعم ملأت القدح ثم وضعته بجوارها، ولك أن تصدق أو لا تصدق أنه كان خاليًا من أي مادة سامة .

– وهل رأيتها حين شربته ؟

– لا ... فقد كنا ننتقل من مكان إلى مكان في القاعة ، وحدث أنني اشتركت في نقاش مع أحد الزملاء فلم أرها حين شربت القهوة ، وكان حولها أشخاص آخرون .

– آه ... فهمت .. تريد أن تقول إنه كان في استطاعة أي شخص آخر أن يضع العقار السام في قدحها .

– حاول مرة أن تضع شيئًا في قدح إنسان وستجد أن أشخاصًا كثيرين قد

رأوك . .

– ليس بالضرورة .

– لماذا بحق السماء تظن أنني أردت تسميم الفتاة . . ؟ إنني لم أكن أحقد عليها لأي سبب .

– أنا لم أقل إنك سممتها .

– إنها تناولت السم بنفسها . . وليس هناك تفسير آخر .

– ذلك ما كان ينبغي أن نسلم به . . لولا تلك الرسالة الزائفة . .

– من قال إنها زائفة ؟ إنها كتبتها بخطها .

– بل كتبتها كجزء من خطاب آخر دبجته في صباح ذلك اليوم .

– لعلها مزقتها من ذلك الخطاب واستخدمتها كرسالة انتحار .

– كن منطقيًّا يا سيد "**بيتسون**" . . إنك حين تريد كتابة رسالة انتحار فإنك تكتبها . . بدلاً من أن تأخذ خطابًا كنت قد كتبته لشخص آخر وتقتطع منه بعناية عبارة معينة .

– إنني قد أفعل ذلك . . الناس يفعلون أشياء كثيرة عجيبة .

– إذا صح ذلك فأين بقية الخطاب ؟

– وكيف أعلم ؟ إن البحث عن بقية الخطاب من صميم عملك أنت . . ولا شأن لي بذلك .

– إنني أنصح لك بأن تجيب عن أسئلتي بأدب يا سيد "**بيتسون**" .

– حسنًا . . ماذا تريد أن تعرف ؟ أنا لم أقتل الفتاة وليس ثمة ما يدفعني إلى قتلها .

– هل كنت تميل إليها ؟

– نعم . . كانت فتاة لطيفة . . متوسطة الذكاء حقًّا ، ولكنها لطيفة .

– هل صدقتها حينما اعترفت بمسؤوليتها عن السرقات التي أزعجتكم فترة طويلة ؟

– بالطبع صدقتها لأنها اعترفت على نفسها . . ولكني ذهلت . .

– هل كنت تعتقد أنها ليست خليقة بعمل كهذا ؟

وكان الحوار قد لطف من حدة "**ليونارد**" وتوتره ، وبخاصة حين لم يعد في موقف الدفاع عن نفسه ، فانطلق يعبر بحرية عن رأيه في اللغز الذي حيره وأثار فضوله ، قال :

– إن "**سيليا**" لم تكن لصة ، ولم تكن كذلك من طراز المصابات بداء السرقة.

– ألم يخطر ببالك سبب آخر لسلوكها ؟

– سبب آخر؟ أي سبب ؟

– يحتمل أنها أرادت أن تلفت نظر "**كولين ماكناب**" وتثير اهتمامه بها .

– احتمال بعيد .. أليس كذلك ؟

– ولكنها نجحت في إثارة اهتمامه .

– إنني أعرف عن "**كولين**" شدة ولعه بدراسة كل حالة نفسية شاذة .

– لنفترض أن "**سيليا أوستن**" كانت تعرف عنه ذلك .

فهز "**ليونارد**" رأسه وقال :

– من الخطأ أن تتوهم أن "**سيليا**" كان في مقدورها أن تفكر في مثل هذه الخطة .

– ولكن في مقدورك أنت .. أليس كذلك ؟

– ماذا تعني ؟

– أعني أنك ربما اقترحت عليها الخطة بحسن نية ..

فضحك "**ليونارد**" ضحكة قصيرة وأجاب :

– لابد أنك جننت لكي تتصور أني أفعل شيئًا كهذا .

– هل تظن أن "**سيليا أوستن**" سكبت الحبر على أوراق "**إليزابيث جونستون**" أم أن هناك شخصًا آخر ؟

– هناك شخص آخر .. قالت "**سيليا**" إنها لم تفعل ذلك وأنا أصدقها .. ثم إن الحبر أخضر اللون .

– أتعني أن "**نيجل شابمان**" هو الفاعل ؟

– ربما .. فهو إنسان حقود .. ولعله الوحيد بيننا الذي يحبذ التفرقة العنصرية .

*****

وألقى "**شارب**" عدداً آخر من الأسئلة ولكنه لم يظفر من "**ليونارد بيتسون**" بمعلومات جديدة .

وكان الشخص التالي هي "**فاليري هوبهاوس**" ..

كانت هادئة الأعصاب، أنيقة ، شديدة الحذر ، وأقل توتراً من الشابين اللذين سبقاها .

قالت إنها كانت تحب "**سيليا**" .. وإن "**سيليا**" لم تكن لامعة الذكاء وكان حبها لـ"**كولين ماكناب**" مثيراً للشفقة ..

– هل تعتقدين أنها كانت مصابة بداء السرقة ؟

– أظن ذلك ، ولكنني في الواقع لا أعرف الكثير عن هذا الداء .

– هل تظنين أن أحداً أوحى إليها بأن تفعل ما فعلت ؟

فهزت "**فاليري**" كتفيها وقالت :

– تعني لكي تلفت إليها نظر ذلك الحمار المغرور "**كولين**" ؟

– إنك سريعة الفهم يا آنسة .. نعم .. ذلك ما أعنيه ، ألم توحي أنت إليها بالفكرة ؟

– كيف أفعل ذلك أيها السيد العزيز في الوقت الذي وجدت فيه أجمل شملة عندي ممزقة شر تمزيق ؟ إن إنكار الذات إلى هذا الحد ليس من صفاتي .

– هل تعتقدين أن شخصاً آخر أوحى إليها بالفكرة ؟

– كلا .. أعتقد أنها تصرفت تلقائيًّا ..

– ماذا تعنين .. ؟

– إنني ارتبت في "**سيليا**" منذ البداية عندما ثارت تلك الضجة حول حذاء "**سالي**" .. كانت "**سيليا**" تغار من "**سالي**" لأن "**سالي**" أجمل فتاة هناك وكان

"**كولين**" يوليها كثيراً من اهتمامه .

وفي ليلة الحفلة التي دعيت إليها "**سالي**" اختفت فردة الحذاء فاضطرت "**سالي**" إلى الذهاب إلى الحفلة بثوب أسود قديم وحذاء أسود .. وكانت "**سيليا**" تنظر إليها بشماتة ، نظرة تثير الريبة .. ولكني لم أشك قط في "**سيليا**" .

– وماذا عمّا يتصل بالسرقات الأخرى ؟

فهزت "**فاليري**" كتفيها وأجابت :

– لا أعلم .. ربما إحدى الخادمات .

– والحقيبة الممزقة ؟

– كانت هناك حقيبة ممزقة ؟ لقد نسيت .. ذلك كان عملاً عقيمًا لا معنى له .

– هل أقمت وقتًا طويلاً في هذا البيت يا آنسة ؟

– نعم .. وربما كنت أقدم النزلاء .. إنني أقيم هنا منذ عامين ونصف العام .

– إذن أنت تعرفين عن هذا البيت أكثر من أي إنسان آخر ؟

– أظن ذلك .

– هل لديك فكرة خاصة عن موت "**سيليا أوستن**" .. ؟ أعني عن الدافع إلى الجريمة ؟

– إنه لأمر رهيب . ولست أرى أن هناك من كان يريد موتها .. كانت فتاة لطيفة وديعة .. وكانت لتوها قد خطبت .. و ..

– نعم .. و ..

فقالت الفتاة ببطء :

– وقد تساءلت .. ترى هل الخطبة هي السبب ؟ .. هل قتلت لأنها خطبت وستكون سعيدة ؟ ولكن ذلك معناه أن القاتل لابد أن يكون مجنونًا .

وسرت بجسدها رعدة ، فنظر إليها المفتش مليًا وقال :

– يجب ألاّ نسقط الجنون من حسابنا .. هل لديك فكرة عن التلف الذي أصاب أوراق "**إليزابيث جونستون**" .. ؟

– كلا .. إنه عمل ينطوي على الحقد .. ولا أعتقد لحظة واحدة أن "**سيليا**"

أقدمت على عمل كهذا .

– من إذن ؟

– ربما "**باتريشيا لين**" .

– إنك تدهشينني يا آنسة ، فإنني لم أفكر قط في اتهام "**باتريشيا لين**" .. إذ يخيل لي أنها فتاة متزنة رصينة الخلق .

– لست أجزم بأنها الفاعلة . إنه ليس سوى رأي خطر لي .

– وما الدافع لها .. ؟

– إن "**إليزابيث**" تمقت "**باتريشيا**" .. لأن هذه الأخيرة دأبت على تصويب كلام حبيبها "**نيجل** " كلما أدلى بمعلومات سخيفة بطريقته المألوفة .

– إذن أنت ترجحين أن "**باتريشيا**" هي التي أتلفت أوراق " **إليزابيث**" وليس "**نيجل**" .. ؟

– إن "**نيجل**" أذكى من أن يستخدم حبره الخاص في عمل كهذا .. أما "**باتريشيا**" فإنها من الغباء بحيث تقدم على هذه الفعلة دون أن تفطن إلى أنها سوف تورط حبيبها .

– أو قد يكون هناك من يمقت "**نيجل شابمان**" ويريد الإيقاع به ؟

– نعم .. ذلك احتمال آخر .

– من الذي يمقت "**نيجل شابمان**" ويريد الإيقاع به ؟

– "**جين توملنسون**" مثلاً .. و"**ليونارد بيتسون** "الذي يتشاحن معه دائمًا ..

– هل لديك أية فكرة يا آنسة "**هوبهاوس**"عن الطريقة التي سممت بها " **سيليا أوستن**" .. ؟

– لقد فكرت في ذلك مليًا وأرجح أن يكون السم قد وضع لها في القهوة .. كنا جميعًا نتحرك في قاعة الجلوس ، وكان قدح "**سيليا**" على مائدة صغيرة بالقرب منها ، وكان من عادتها أن تدع القهوة حتى تبرد قبل أن تحتسيها؛ ولذلك أعتقد أنه كان في استطاعة أي شخص على جانب من الجرأة وقوة الأعصاب أن يضع الأقراص في قدح القهوة بدون أن يراه أحد .. إنها مجازفة خطيرة .. كان من

الممكن أن تفتضح .

– إن المادة السامة لم تكن أقراصًا .

– ماذا كانت إذن ؟ مسحوقًا ؟

– نعم .

فقطبت الفتاة حاجبيها وقالت :

– إن وضع المسحوق أصعب كثيراً من وضع الأقراص ، أليس كذلك .. ؟

– ألا ترتابين في شيء آخر غير القهوة .. ؟

– إنها كانت في بعض الأحيان تتناول قدحًا من الحليب الدافئ قبل النوم ، ولكنني لا أظنها فعلت ذلك ليلة أمس .

– هل لك أن تصفي لي ما حدث في القاعة على وجه الدقة .. ؟

– كنا نجلس أو نسير ونتحدث ، وأدار البعض جهاز الراديو .. ثم انصرف الفتيان وأوت "**سيليا**" إلى مخدعها مبكرة، وكذلك فعلت "**جين توملنسون**" ، وبقيت أنا و"**سالي**" حتى وقت متأخر .كنت أكتب بعض الرسائل وكانت "**سالي**" تقرأ دروسها .. وأعتقد أنني كنت آخر من أوى إلى فراشه .

– هل كانت الأمسية عادية تمامًا .. ؟

– نعم أيها المفتش .

شكرًا لك يا آنسة "**هوبهاوس**" .. هل لك أن تبعثي إليّ بالآنسة "**باتريشيا لين**" ..؟

وجاءت "**باتريشيا لين**" وكانت تبدو مهمومة ، لا خائفة .. ولم تسفر الأسئلة التي ألقاها عليها المفتش عن جديد ، وعندما سألها عن التلف الذي حاق بأوراق "**إليزابيث جونستون**" ، أجابت بأنها لا تشك في أن "**سيليا**" هي المسؤولة .

– ولكن "**سيليا**" أنكرت ذلك يا آنسة .

– من الطبيعي أن تنكر بعد أن أحست بالخجل مما فعلت .. أصغ إليّ أيها المفتش .. إنني أعلم أنك ترتاب في "**نيجل**" بسبب لون الحبر ولكنها ريبة في غير

موضعها .. فلو أراد "**نيجل**" إتلاف أوراق "**إليزابيث**" لاستخدم حبرًا آخر .

– إن العلاقات بينه وبين "**إليزابيث**" لم تكن طيبة أليس كذلك .. ؟

– إن "**إليزابيث**" تضايق الآخرين أحيانًا على أنني سأحاول أن أوضح لك بعض الأمور الخاصة بـ "**نيجل شابمان**" . إن "**نيجل**" ألد أعداء نفسه ، وأنا أول من يعترف بأنه لا يطاق في بعض الأحيان ، وبأن سلوكه وتصرفاته كثيرًا ما ينفّران الناس منه ، فهو جاف وساخر ويجد متعة في الهزء بالناس، ولكنه في الواقع أفضل كثيرًا مما يبدو ..

إنه من أولئك الأشقياء الذين ينشدون محبة الناس ، ثم تنزلق ألسنتهم فيقولون عكس ما يضمرون . ولعل السبب أنهم عاشوا طفولة بائسة .

لقد نشأ "**نيجل**" في بيت يخيم عليه الشقاء ، كان أبوه رجلاً عنيفًا قاسيًا لم يحاول قط أن يفهمه .. وكان يعامل أمه بقسوة بالغة ، فلما ماتت الأم ، تشاجر الأب مع ابنه وطرده من بيته ، وقال له إنه لن يعطيه بنسًا واحدًا ، وإن عليه أن يشق طريقه في الحياة بنفسه دون أن يعتمد على معونة منه ، وأجابه "**نيجل**" بأنه لا يريد معاونته ، ولن يقبلها إذا عرضت عليه .. ومنذ ذلك الوقت ، لم ير "**نيجل**" أباه ولم يكتب إليه .. واعتمد في حياته على إيراد بسيط آل إليه من أمه، ولم يجد "**نيجل**" بعد وفاة أمه من يرعاه أو يحنو عليه . فاعتلت صحته ، وترك الماضي الأليم بصماته على سلوكه وتصرفاته وسخريته اللاذعة التي تتسم بالمرارة .. صفوة القول .. إن الحياة حطمته منذ نعومة أظفاره ... حتى أصبح عاجزًا عن الظهور على حقيقته ..

وكفت الفتاة عن الكلام وهي تلهث .. ونظر إليها المفتش مليًّا وقال لنفسه :

"إنها تحب هذا الشاب .. وأعتقد أنه لا يعبأ بها ، ولكنه يجد عندها حنان الأمومة الذي فقده .. ويبدو أن أباه من الطراز القديم العنيف ، أما أمه فإنها كانت امرأة حمقاء قد أسرفت في تدليله ، وعمقت بذلك الهوة التي فصلت بينه وبين أبيه" .

وسمح لـ "**باتريشيا**" بالانصراف ، وأرسل في طلب "**جين توملنسون**" .

- 10 -

كانت "**جين**" فتاة صارمة المظهر تناهز السابعة والعشرين ، شقراء منتظمة قسمات الوجه ، وقد هتفت حينما جلست :

– نعم أيها المفتش ، ماذا أستطيع أن أفعل من أجلك ؟

– إني أتساءل عما إذا كان بوسعك أن تمدي إلينا يد المساعدة في هذا الحادث المحزن يا آنسة . .

– إنه مؤلم حقًّا . . وقد انزعجنا حين علمنا أن "**سيليا**" انتحرت . . أما الآن، بعد أن ظهر أن في الأمر جريمة . .

ولم تتم عبارتها وهزت رأسها في أسى .

فقال "**شارب**" :

– نحن الآن على يقين من أنها لم تقتل نفسها بالسم ، فهل لديك أية فكرة عن مصدر المادة السامة ؟

– أعتقد أن مصدرها مستشفى "**سانت كاترين**" حيث تعمل . . ولكن ألا ترى أن هذه الحقيقة ترجح فكرة الانتحار ؟

– كان ذلك هو المقصود بغير شك .

– ولكن من كان بوسعه الحصول على السم من المستشفى عدا "**سيليا**" ؟

– أناس كثيرون . . أنت نفسك كان بوسعك الحصول عليه إذا أردت .

فصاحت الفتاة مستنكرة :

– ماذا تعني حقًّا أيها المفتش ؟

– إنك ترددت على الصيدلية مرارًا . . أليس كذلك ؟

– بلى . . ترددت عليها لزيارة صديقتي "**ملدريد كاري**" . ولكني لم أفكر قط في العبث بمحتويات خزانة العقاقير السامة .

– ولكن ألم يكن في مقدورك أن تعبثي ؟

– لم يكن في استطاعتي أن أفعل شيئًا كهذا .

– كيف ذلك يا آنسة ؟ هبي أن صديقتك كانت في شغل بإعداد الأدوية

والعقاقير المطلوبة لمرضى المستشفى ، وأن زميلتها كانت تعمل في شباك مرضى العيادة الخارجية .. والصيدلية لا يوجد بها في أغلب الأحيان سوى صيدلانيتين .. أفلم يكن في مقدورك أن تتجولي بين دواليب الأدوية .. وتتناولي زجاجة صغيرة وتدسيها في جيبك بدون أن يرتاب أحد في أمرك ؟

– إنني أستنكر هذا الكلام أيها المفتش .. إنه اتهام مُهين لا أقبله .

– لا أحب أن تسيئي فهمي يا آنسة .. أنت قلت إنه لم يكن يمكنك أن تفعلي ذلك .. فأردت أن أثبت لك أنه ممكن .. ولكني لا أتهمك .. ولا أجد ما يدعو إلى اتهامك .

– لعلك لا تعلم أيها المفتش أن "**سيليا**" كانت صديقتي .

– كثير من الناس يدس لهم أصدقاؤهم السم في الطعام أو الشراب .. ولا يسع الإنسان أحيانًا إلاَّ أن يتساءل : "ما الحد الذي ينقلب عنده الصديق عدوًّا..؟" .

– لم يكن هناك خلاف بيني وبين "**سيليا**" .. وكنت أحبها كثيراً .

– هل كان لديك سبب للارتياب في أنها المسؤولة عن السرقات التي حدثت ؟

– لا . وكانت دهشتي بالغة حين قيل لي إنها اعترفت .. كنت أعتقد دائماً أن "**سيليا**" فتاة ذات خلق ومبادئ .. ولم يخطر لي ببال أنها يمكن أن تقدم على مثل هذا العمل .

– أظن أنها لم يكن لها إرادة فيما فعلت .. شأنها شأن المرضى بداء "**الكلبتومانيا**" .. أليس كذلك ؟

فصمتت الفتاة قليلاً ثم قالت :

– لا أستطيع القول بأنني أقر هذا الرأي .. فإنني لست من أصحاب الآراء المتطورة .. واعتقادي هو أن السرقة سرقة مهما كانت الظروف .

– هل تظنين أنها سرقت .. بإرادتها ؟

– بكل تأكيد ..

– هل هي عدم أمانة ؟

– نعم .

– ومع ذلك فإن حوادث السرقة انتهت بالنسبة إليها نهاية سعيدة إذ تقدم "**كولين ماكناب**" لخطبتها .

فصاحت "**جين توملنسون**" بحقد :

– يجب ألا تدهش لأي عمل يصدر عن "**كولين**" .. إنه إنسان ساخر لا ضمير له ولا أخلاق .

– هذا أمر يؤسف له .

– وأعتقد أنه وقف إلى جانب "**سيليا**" لسبب واحد هو أنه لا يؤمن بالأمانة والخلق القويم .. ولعله يعتقد أن من حق كل إنسان أن ينهب ما يريد .

– وحادث تلطيخ أوراق "**إليزابيث جونستون**" .. هل اعترفت "**سيليا**" بمسؤوليتها عنه ؟

– لا أعلم .. أظن أنها اعترفت ..

– ظن خاطئ يا آنسة . إنها أنكرت بشدة .

– ربما .

– ألا ترجحين أن يكون "**نيجل شابمان**" هو الفاعل ؟

– لا .. الأرجح أن يكون "**أكيبومبو**" .

– أحقًّا ؟ ولماذا فعل ذلك ؟

– بسبب الغيرة . إن هؤلاء الملونين يغارون بعضهم من بعض .

– هذه حقيقة مثيرة . !! متى رأيت "**سيليا أوستن**" آخر مرة ؟

– حول مائدة العشاء في مساء يوم الجمعة .

– من أوى إلى فراشه أولاً .. أنت أم هي ؟

– أنا .

– ألم تذهبي لزيارتها في غرفتها بعد انصرافك من قاعة الجلوس .. !

– لا .

– هل لديك فكرة عمن وضع لها السم في قدح القهوة .. ؟

– لا ..

– ألم يقع بصرك على زجاجة "**طرطيرات المورفين**" في غرفة أحد النزلاء .. ؟

فترددت الفتاة قليلاً ثم أجابت :

– لا أظن ذلك .

ولاحظ "**شارب**" ترددها فلاحقها بالسؤال التالي :

– ماذا تعنين ؟

– أظن أنني رأيت زجاجة في حادث الرهان .

– أي رهان يا آنسة .. ؟

– قام حوار مرة بين اثنين أو ثلاثة من النزلاء الشبان حول جرائم القتل بالسم.

– ومن اشترك في هذا الحوار ؟

– أظن أنه بدأ بين "**كولين**" و"**نيجل**" ثم انضم إليهما "**بيتسون**" وكانت "**باتريشيا**" هناك أيضًا .

– هل تذكرين ما جرى في هذا الحوار .. ؟

ففكرت "**جين توملنسون**" لحظة ثم قالت :

– أظن أنها بدأت بالحديث عن جرائم القتل بالسم وسهولة معرفة القاتل عن طريق معرفة مصدر المادة السامة . وعندئذ قال "**نيجل شابمان**" إنه يعرف ثلاث وسائل للحصول على السم بدون أن يفتضح أمره . فقال له "**بيتسون**" إنه يهذي بما لايعرف .. وإنّ من المستحيل الحصول على مادة سامة بدون أمر الطبيب . وأجاب "**نيجل**" بأنه على استعداد لإثبات وجهة نظره ، وحينئذ قالت "**باتريشيا**" إن "**نيجل**" على حق ، وإن في استطاعة "**كولين**" و"**ليونارد**" أنفسهما الحصول على أية كمية من السموم من أحد المستشفيات ، بل إن "**سيليا أوستن**" نفسها تستطيع أن تأخذ ما تريد من صيدلية المستشفى . فقال "**نيجل**" إنه لا يعني ذلك، وإن "**سيليا**" إذا سرقت عقارًا سامًّا من صيدلية المستشفى فلابد أن يفتضح أمرها عاجلاً أو آجلاً عند الجرد . فقالت "**باتريشيا**" إن في استطاعة"**سيليا**" أن تتجنب الافتضاح إذا هي أخذت محتويات الزجاجة ، ووضعت بدلها مادة تشبهها من حيث اللون ، فضحك "**كولين**" وقال إنها إذا فعلت ذلك فسوف يضج المرضى

بالشكوى يومًا ما . فقال "**نيجل**" إنه لا يعني ذلك ، وإنه ليس صيدليًّا ولا طبيبًا ولكنه مع ذلك يستطيع الحصول على ثلاثة أنواع مختلفة من السموم بثلاث وسائل مختلفة . فقال له "**بيتسون**" : "حسنًا .. ما هذه الوسائل ؟" فأجاب "**نيجل**" : "لن أخبرك بها الآن . ولكني على استعداد لأن أراهنك على أنني أستطيع أن أقدم لك ثلاثة أنواع مختلفة من السموم خلال ثلاثة أسابيع" .. فقال "**بيتسون**" إنه يراهن بخمسة جنيهات على أنه لن يستطيع .

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– مرت أيام ولم يحدث شيء ... وذات مساء ، قال "**نيجل**" ونحن في قاعة الجلوس :

– "انظروا أيها الإخوان .. هأنذا قد بررت بوعدي" . ووضع على المائدة ثلاثة أشياء : أنبوبة بها أقراص "**الهيوسكين**" ، وزجاجة بها صبغة "**الديجيتالين**" .. وقنينة صغيرة بها "**طرطيرات المورفين**" .

فهتف المفتش بحدة :

– "**طرطيرات المورفين**" ؟ هل كان على القنينة بطاقة ؟

– نعم .. كانت بطاقة باسم مستشفى "**سانت كاترين**" ..إنني أذكر الاسم لأنني قرأته على البطاقة .

– والمادتان الأخريان ؟

– لم أقرأ بطاقتيهما .. وأعتقد أن مصدرهما لم يكن أحد المستشفيات .

– وماذا حدث بعد ذلك ؟

– جرت مناقشات طويلة ، وقال "**بيتسون**" محدثًا "**نيجل**" : "إذا أنت ارتكبت جريمة بأحد هذه السموم فسوف يهتدي البوليس إليك" فأجاب "**نيجل**" : "أبدًا لأنني لم أتصل بصيدلية أو طبيب ولم أدفع ثمنًا لها ، وليس هناك أثر يدل علي..." . وبعد حوار ومناقشات اعترف "**بيتسون**" بأنه خسر الرهان وقال : "إن مبلغ الرهان ليس معي الآن وسأدفعه فيما بعد ، وليس ثمة شك في أن "**نيجل**" قد نجح في إثبات وجهة نظره" .

ثم قال : "والآن .. ماذا نفعل بهذه المواد .. ؟"

فابتسم "**نيجل**" وأجاب بأنه يجب التخلص منها قبل أن تؤدي إلى أحداث مؤلمة. وهكذا أفرغوا الأقراص ومسحوق الطرطيرات في المدفأة وسكبوا الصبغة في دورة المياه .

– والزجاجات ؟

– لا أعلم ماذا فعلوا بها .. ولعلهم ألقوا بها في سلة المهملات .

– ولكن المواد السامة ذاتها أعدمت ؟

– أنا واثقة بذلك .

– ومتى حدث ذلك ؟

– منذ نحو أسبوعين على ما أظن .

– شكراً لك يا آنسة .

ونهضت "**جين**" وترددت قليلاً ثم سألت :

– هل ستفيدك هذه المعلومات أيها المفتش ؟

– ربما .

✽✽✽✽✽

وبعد انصرافها ، أطرق المفتش برأسه مفكرًا ، ثم أرسل في طلب "**نيجل شابمان**" ، وفاجأه بقوله :

– لقد أدلت إليّ "**جين توملنسون**" في التو واللحظة بمعلومات مثيرة .

– أحقًا ؟ ضد من سممت العزيزة "**جين**" أفكارك ؟ ضدي ؟

– إنها حدثتني عن السموم وصلتك بها .

– صلتي بالسموم ؟

– هل تنكر أنك تراهنت مع "**بيتسون**" منذ بضعة أسابيع على استطاعتك الحصول على السموم بطرق لا ترشد إليك ؟

– آه .. أهذا ما تعنيه ؟ الحق أن ذلك غاب عن فكري .. بل لست أذكر إطلاقًا

أن "**جين**" كانت هناك .

– إذن فإن ما قالته صحيح ؟

– نعم .. كنا نتحدث في موضوع السموم .. وتكلم "**كولين**" و"**وليونارد**" بصلف وغرور فقلت لهما إنَّ أي إنسان على شيء من الذكاء يستطيع الحصول على قدر كاف من السموم ، وإنني أعرف ثلاث وسائل لذلك أستطيع أن أضعها موضع التنفيذ ، ولإثبات وجهة نظري .

– وفعلت ذلك ؟

– نعم .

– وما تلك الوسائل الثلاث يا سيد "**شابمان**" ؟

فنظر إليه الشاب بحذر وقال :

– لا شك في أنك لا تريدني أن أدين نفسي ؟ إذا كان في نيتك أن توجه إليّ اتهامًا ما فيجب أن تحذرني .

– لم يحن الوقت بعد لاتهامك يا سيد "**شابمان**" .. ولا ضرورة لأن تدين نفسك .. بل إن من حقك أن ترفض الإجابة عن أسئلتي إذا شئت .

ففكر "**نيجل**" لحظة ، ثم ابتسم وقال :

– أعلم أنني لجأت إلى وسائل غير مشروعة ، وأنك تستطيع إلقاء القبض عليّ إذا شئت .. ولكني أعلم كذلك أننا حيال جريمة قتل ، فإذا كنت تعتقد أن ما سأقوله قد يفيدك في إماطة اللثام عن سر مصرع المسكينة "**سيليا**" ، فإنّ من واجبي ألاّ أرفض الإجابة عن أسئلتك .

– هذه هي وجهة النظر السليمة .

– سأتكلم إذن .

– ماذا كانت تلك الوسائل الثلاث ؟

فاعتدل "**نيجل**" في مقعده وقال :

– حسنًا .. إننا كثيرًا ما نقرأ في الصحف أنباء عن عقاقير سامة سرقت من سيارات الأطباء .. وتقترن هذه الأنباء عادة بتحذير للشعب من استخدام هذه

العقاقير .

– هذا صحيح .

– لذلك خطرت لي فكرة بسيطة .. هي تعقب أحد أطباء الريف في زياراته لمرضاه .. وانتهاز الفرصة .. لأن الأطباء لا يأخذون حقائبهم في جميع الحالات عندما يعودون مرضاهم .

– نعم .

– هذه هي الطريقة الأولى ، وقد تعقبت ثلاثة أطباء حتى ترك أحدهم سيارته خارج إحدى المزارع ، ففتحتها وأخذت من حقيبته أنبوبة من أقراص "**هيوسكين**" .

فهتف المفتش بحدة :

– والطريقة الثانية ؟

– لقد اضطررت في الطريقة الثانية إلى أن أخدع "**سيليا**" العزيزة المسكينة ، وأحسب أنني قلت لك إنها لم تكن لامعة الذكاء؛ ولذلك لم تفطن إلى حيلتي عندما سخرت أمامها بالأطباء ، لأنهم يكتبون تذاكرهم باللغة اللاتينية بخط غير مقروء وتحديتها أن تكتب اسم صبغة الديجيتالين بطريقة الأطباء .. وقدمت إليها ورقة تحمل اسم أحد الفنادق ، فسقطت في الفخ ، وكتبت الاسم بحسن نية ، ولم يبق عليّ بعد ذلك إلاَّ أن أذيل الورقة بإمضاء طبيب في منطقة نائية فاستعنت بعد ذلك بدليل الأطباء ، وكتبت اسم أحد الأطباء بطريقة لا تكاد تقرأ، وانطلقت بالورقة إلى صيدلية في وسط "**لندن**" تعاني ضغط العمل . وحصلت على الصبغة بدون صعوبة .. فهذه الصبغة تستخدم بكثرة في حالات الأزمات القلبية . وكانت الورقة تحمل اسم أحد الفنادق كما ذكرت .

فقال "**شارب**" بجفاء :

– فكرة ذكية حقًّا .. والطريقة الثالثة ؟

– أريد أولاً أن أعرف موقفي من القانون .. هل ترى أنني تورطت في جريمة ؟

– إن الاستيلاء على عقار من سيارة تركها صاحبها يعد سرقة .. وتزوير اسم طبيب على ...

فقاطعه "**نيجل**" قائلاً :

– إن كتابة اسم طبيب على تذكرة طبية ليس تزويراً . فأنا لم أقلد توقيع الطبيب بل كتبت اسمه .

وصمت لحظة ثم قال :

– أصغ إليّ أيها المفتش .. يخيل إلي أنني تورطت في اعترافات تدينني ولا تفيد قضية "**سيليا أوستن**" من قريب أو بعيد .

– إن رجال الشرطة يعالجون مثل هذه الاعترافات بعقول مفتوحة .. وأنا أشعر بأن ما فعلته ليس سوى مزحة شاب لا يقدر المسؤولية .. وأقدر في ذات الوقت رغبتك في التعاون لإماطة اللثام عن سر مقتل الفتاة .. تكلم يا سيد "**شابمان**" .. ماذا كانت الطريقة الثالثة ؟

– الطريقة الثالثة كانت أخطر من سابقتيها .. كنت قد زرت "**سيليا**" في الصيدلية قبل ذلك مرة أو مرتين .. وعرفت مكان العقاقير السامة ..

– وهكذا ذهبت لزيارتها مرة أخرى وسرقت زجاجة الطرطيرات ..

– لا .. لم يكن ذلك من الأمانة في شيء ، ولو استخدمت هذه المادة في ارتكاب جريمة قتل لسهل الاستدلال عليّ ، وذلك يتعارض مع شروط الرهان الذي عقدته مع "**بيتسون**" .. إن ما حدث هو أنني كنت أعلم أن هناك ثلاث فتيات يعملن في الصيدلية ، وأن اثنتين منهن تغادران الصيدلية في الساعة الحادية عشرة صباحاً كل يوم لتناول الشاي والبسكويت في غرفة خلفية ، كذلك كنت أعلم أن هناك فتاة جديدة التحقت بالعمل منذ فترة وجيزة ، وأن هذه الفتاة لا تعرفني .. وعلى ذلك فإن كل ما فعلته هو أنني دخلت الصيدلية في أثناء وجود هذه الفتاة وأنا أرتدي معطفاً أبيض كمعاطف الأطباء ، وسماعة الطبيب تتدلى فوق صدري ، وأخذت أطوف بالصيدلية حتى انتهيت إلى خزانة العقاقير السامة ؛ فتناولت زجاجة الطرطيرات ودسستها في جيبي ، ثم ذهبت إلى الفتاة وسألتها عما إذا كانت لديها كمية من الأدرينالين ، فأجابت بالإيجاب ، وطلبت منها قرصاً من الأسبيرين بدعوى أنني أشعر بصداع وتناولت القرص أمامها ، وانصرفت بدون أن

يخامرها شك في أنني لست أحد أطباء الامتياز بالمستشفى. كانت لعبة سهلة للغاية ، ولم تعرف "**سيليا**" قط أنني ذهبت إلى الصيدلية .

– وسماعة الطبيب .. من أين جئت بها ؟

فابتسم "**نيجل**" وأجاب :

– كانت سماعة "**بيتسون**" وقد سرقتها .

– من البيت ؟

– نعم .

– إذن فذلك يفسر سر اختفاء السماعة .. ويثبت أن "**سيليا**" لم تسرقها .

– بالتأكيد لم تسرقها .. يا إلهي .. !! هل سمعت عن مريضة بـ"**الكلبتومانيا**" سرقت سماعة طبيب ؟

– وماذا فعلت بها بعد ذلك . ؟

– رهنتها .

– ألم تكن سرقة السماعة صدمة لـ"**بيتسون**" ؟

– بلى كانت صدمة شديدة ، ولكن لم يكن في استطاعتي أن أصارحه بالحقيقة بدون أن أكشف له عن طريقتي في الحصول على العقاقير السامة ، وذلك ما لم أكن أريد أن أفعله .. ولكنني عوضته عن ذلك بسخاء إذ دعوته ذات ليلة إلى سهرة حمراء .

– إنك شاب لا تقدر المسؤولية .

فقال "**نيجل**" وعلى شفتيه ابتسامة عريضة :

– كنت أود أن ترى وجوههم عندما وضعت أمامهم العقاقير السامة الثلاثة وقلت لهم إنني سرقتها ولن يعرف أحد سارقها .

– هل معنى ذلك أنه كانت لديك ثلاث وسائل لقتل شخص ما بثلاثة أنواع مختلفة من السم ، بدون أن يكون هناك أي أثر يرشد إليك ؟

– نعم ، وهو اعتراف خطير في الظروف الحالية . ولكن المهم هو أن هذه السموم قد أُعدمت وأبيدت كلها منذ أسبوعين أو أكثر .

– ذلك ما تظنه أنت يا سيد "**شابمان**" ، ولكن الحقيقة قد تكون غير ذلك .

– ماذا تعني ؟

– كم بقيت هذه المواد في حوزتك ؟

ففكر "**نيجل**" لحظة ثم أجاب :

– أنبوبة "**الهيوسكين**" بقيت عندي نحو عشرة أيام ، و "**طرطيرات المورفين**" حوالي أربعة أيام ، أما صبغة " **الديجيتالين**" فإنني حصلت عليها عصر اليوم الذي أعلنت فيه أنني ربحت الرهان .

– وأين كنت تحتفظ بالـ"**هيوسكين**" و"**طرطيرات المورفين**" .. ؟

– في دولاب ملابسي .. تحت الجوارب .

– هل عرف أحد مكانها ؟

– لا .. لا .. لم يعرف مكانها أحد .

ولاحظ "**شارب**" رجفة في صوته حين قال ذلك ولكنه تغاضى مؤقتًا وسأل :

– هل حدثت أحداً عن الخطة التي وضعتها للحصول على هذه المواد . ؟

– لا .. اللهم إلا ..

– إلا من ؟

– الواقع أنني هممت بأن أخبر "**باتريشيا**" .. ثم أدركت أنها سوف تستنكر عملي فصمت .

– ألم تذكر لها شيئًا عن سرقة المادة من سيارة الطبيب ، أو التذكرة الطبية المزورة، أو سرقة "**طرطيرات المورفين**" من صيدلية المستشفى .. ؟

– الحقيقة أنني أخبرتها فيما بعد عن التذكرة الطبية ، وعن دخولي صيدلية المستشفى بصفتي أحد الأطباء فلم تبد ارتياحًا ، ولم أحدثها عن سرقة العقار من السيارة حتى لا تثور ثائرتها .

– وهل أخبرتها بأنك ستعدم هذه السموم بعد أن تربح الرهان .. ؟

– نعم .. ذلك لأنها كانت شديدة القلق ، وقد طلبت إليّ بإلحاح أن أعيد العقاقير إلى أصحابها .

– ألم يخطر لك أن تفعل ذلك من تلقاء نفسك ؟

– يا إلهي .. !! لا .. لو أنني فعلت ذلك لجلبت لنفسي متاعب لا نهاية لها .. ومهما يكن من أمر فقد تخلصنا من العقاقير على النحو الذي ذكرته لك .. ولم يحدث أي ضرر .

– ذلك ما تتوهمه أنت يا سيد "**شابمان**" .. لأن من المحتمل جداً أن يكون الضرر قد حدث بالفعل .

– وكيف ؟

– ألم يخطر ببالك أن شخصاً ما قد وجد هذه العقاقير أو عرف أين وضعتها فأفرغ الطرطيرات من الزجاجة ووضع بدلاً منها مادة أخرى ؟

– يا إلهي .. !! الحق أنني لم أفكر في ذلك .

– مَنْ مِنْ زملائك يتردد على غرفتك عادة ؟

– أنا و "**بيتسون**" نقيم في غرفة واحدة .. وأكثر الفتيان يترددون علينا . أما الفتيات فمفروض ألا يتواجدن في عنابر الشبان .

– مفروض ألا يتواجدن .. ولكن من الممكن أن يتواجدن به أليس كذلك ؟

– أية فتاة يمكنها أن تذهب إلى عنابر الشبان في أثناء النهار .

– هل حدث أن ذهبت "**باتريشيا لين**" إلى غرفتك ؟

– إنها تذهب إلى غرفتي دائماً لكي تضع جواربي التي رتقتها .. وليس لأي غرض آخر .

فانحنى المفتش "**شارب**" إلى الأمام وقال ببطء :

– هل تعلم يا سيد "**شابمان**" أن الشخص الوحيد الذي كان في استطاعته أن يأخذ السم من الزجاجة ويضع مكانه مادة أخرى هو أنت ؟

ففر لون "**نيجل**" فجأة وأجاب :

– نعم لقد أدركت ذلك منذ دقيقة واحدة .. ولكنني أؤكد لك أنه لم يكن هناك أي سبب يدعوني إلى التخلص من تلك الفتاة المسكينة .

- 11 -

أيد كل من "**ليونارد بيتسون**" و"**كولين ماكناب**" قصة الرهان وطريقة التخلص من العقاقير السامة كما رواها "**نيجل شابمان**" .

وبقيت فتاتان لم تستجوبا بعد ، هما "**سالي فينش**" و"**إليزابيث جونستون**" فأرسل المفتش "**شارب**" في طلب الأولى .

وجاءت "**سالي**" ، وهي فتاة جذابة ذات شعر أحمر وعينين لامعتين يتألق فيهما بريق الذكاء والحيوية .

وبعد الأسئلة المألوفة قالت الفتاة فجأة :

– هل تعرف ماذا أريد أيها المفتش ؟ أريد أن أقول لك رأيي بصراحة .. إنني أعتقد أن هناك أموراً أخرى مريبة تجري في هذا البيت . وأن تلك العجوز المقيتة تعرف عنها كل شيء .

– أتعنين السيدة "**هبارد**" ؟

– لا .. لا .. إن السيدة" **هبارد**" امرأة لطيفة .. أنا أعني تلك الذئبة العجوز ، السيدة "**نيكوليتس**" .

– هل تستطيعين أن تكوني أكثر وضوحًا يا آنسة ؟

– ليتني أستطيع .. إنني أعبر عن شعوري الذي أعتقد أنه أيضًا شعور "**أكيبومبو**" و"**إليزابيث**" .. كما أعتقد أن "**سيليا أوستن**" كانت تعرف الكثير مما نجهله .

– عن أي شيء ؟

– لا أعلم .. ولكنها ألمحت إلى ذلك في يومها الأخير حين قالت إنها اعترفت بمسؤوليتها عن بعض الأمور ، وأن هناك أموراً أخرى تعرفها ينبغي إيضاحها .. إنني أرجح أيها المفتش أنها تعرف شيئًا عن شخص ما وأنها قتلت لهذا السبب .

– ولكن إذا كانت معلوماتها بهذه الخطورة فإن . . .

فقاطعته الفتاة قائلة :

– لا شك في أنها لم تكن تدرك مدى خطورتها .. إنها لم تكن لامعة الذكاء كما تعلم .. مهما يكن من أمر فإنني أوضحت لك شعوري ولك أن تضرب بكلامي عرض الحائط إذا شئت .

– شكراً لك يا آنسة .. والآن ، أظن أنك رأيت "**سيليا**" لآخر مرة في غرفة الجلوس ؟

– بل رأيتها بعد ذلك .

– أين .. ؟ في غرفتها ؟

– لا .. عندما غادرت قاعة الجلوس رأيتها تهم بالخروج من باب البيت .

– تعنين أنها غادرت البيت بعد العشاء ؟

– نعم .

– هذا أمر يبعث على الدهشة .. ولم يقل به أحد سواك .

– ربما لأنهم لم يعلموا .. إنها ألقت على الجميع تحية المساء وقالت إنها ستأوي إلى فراشها . ولو لم أرها بعيني رأسي لظننتها في فراشها .

– يبدو إذن أنها صعدت إلى غرفتها لتأخذ شيئاً تقي به نفسها من البرد ثم خرجت .

– نعم .. وأعتقد أنها خرجت لمقابلة أحد الأشخاص .

– شخص من الخارج .. أم أحد الطلبة ؟

– أحد الطلبة غالباً .. فإنه من المتعذر على اثنين من النزلاء أن يتحدثا حديثاً خاصاً وسط عشرات العيون والآذان .. ومن المحتمل أن يكون أحدهم قد طلب إليها أن تلقاه في الخارج .

– هل تعلمين متى عادت .. ؟

– لا ..

– هل يعلم "**جيرونيمو**" ؟

– نعم .. لو أنها عادت بعد الحادية عشرة .. لأنه يوصد الباب بالمزلاج في هذا الموعد .. أما قبل ذلك فإن لدى كل نزيل مفتاحاً يستعمله في الدخول .

– هل تذكرين كم كانت الساعة بالضبط عندما رأيتها تغادر البيت ؟
– أظن أنها كانت العاشرة .. أو بعدها بقليل .
– شكراً لك يا آنسة على ما قدمت لي من معلومات .

*****

وجاءت بعد ذلك "**إليزابيث جونستون**" ، وقد تأثر "**شارب**" على الفور بشخصيتها واتزانها وإجابتها المركزة الذكية .
قال لها :
– لقد نفت "**سيليا أوستن**" بشدة أنها أتلفت أوراقك فهل صدقتها .. ؟
– لا أظن أن "**سيليا**" أتلفت أوراقي .
– من إذن ؟
– المسؤول فيما يبدو هو "**نيجل شابمان**" .. ولكن "**نيجل**" أذكى من أن يستعمل حبره الخاص .
– من إذن المسؤول ؟
– لا أدري ، ولكنني أعتقد أن "**سيليا**" كانت تعرفه .
– هل قالت لك ذلك ؟
– ليس صراحة .. إنها جاءت إلى غرفتي في مساء يوم وفاتها ، قبل أن تهبط إلى قاعة الطعام ، وقالت لي إنها وإن كانت المسؤولة عن السرقات ، إلاَّ أنها لم تتلف أوراقي ، فأجبتها بأنني أصدقها ثم سألتها عما إذا كانت تعرف الفاعل .
– بماذا أجابت .. ؟
– قالت : "إنني لست واثقة تمامًا لأنني لا أعرف ماذا كان الغرض من إتلاف أوراقك .. ربما حدث الإتلاف خطأ أو قضاء وقدراً .." . ولكن من واجب المسؤول أن يعترف .. لقد حدثت هنا أشياء لا أستطيع فهمها .. كاختفاء المصابيح الكهربية ليلة قدوم رجال الشرطة .
وهنا قاطعها "**شارب**" :

– ما هذا الذي تقولينه عن رجال الشرطة والمصابيح الكهربية ؟

– لا أعلم .. كل ما قالته "**سيليا**" هو : "إنني لم أسرق تلك المصابيح .. وأكبر الظن أن لاختفائها صلة بجواز السفر" ، فسألتها : "عن أي جواز سفر تتحدثين ؟"

فأجابت : "يبدو أن أحدهم يحمل جواز سفر مزوراً" .

فصمت المفتش لحظة ثم سأل :

– وماذا غير ذلك ؟

– كل ما قالته بعد ذلك هو عبارة :" على كل حال سأعرف المزيد غداً" .

– هذه عبارة لها مغزاها يا آنسة .

– أعتقد ذلك .

وأطرق "**شارب**" برأسه مفكرًا .

جواز سفر مزور .. وزيارة من رجال الشرطة .. !!

كان قبل قدومه إلى ذلك البيت قد فحص الملف الخاص به بين ملفات البيوت والفنادق التي تأوي الطلبة الأجانب ، وهي بيوت وفنادق يراقبها البوليس سرًّا بصفة دائمة .. ولكنه وجد ملف بيت الطلبة والطالبات في شارع "**هيكوري**" نظيفًا ومشرفًا ، كل ما هنالك أن البوليس زار البيت مرة بحثًا عن شاب يعيش من كد النساء الساقطات ، وظهر أن الشاب أقام بالبيت بضعة أيام ثم طرد منه..

وقد ضبطه رجال الشرطة بعد ذلك في مدينة "**برمنجهام**" .

ثم زار البوليس البيت مرة أخرى في حملة تفتيش واسعة النطاق ؛ بحثًا عن شاب آسيوي اتهم بقتل زوجة أحد أصحاب المقاهي .

على أن ذلك حدث منذ وقت طويل ولا يمكن أن يكون له علاقة بمصرع " **سيليا أوستن**" ..

❋❋❋❋❋

وتنهد المفتش ورفع رأسه ليرى "**إليزابيث جونستون**" تنظر إليه بعينيها السوداوين الواسعتين .

قال لها :

– حدثيني يا آنسة .. هل شعرت يومًا بأن أمورًا مريبة تجري في هذا البيت؟

فبدت الدهشة على وجهها وقالت :

– ماذا تعني بالأمور المريبة ؟

– لا أعلم .. هذه عبارة ذكرتها لي الآنسة "**سالي فينش**" .

– آه .. "**سالي فينش**" .

– لقد خيل إلي أنها فتاة قوية الملاحظة .. وأنها عملية وشديدة الحذر .. وقد أصرت على أن أمورًا مريبة تجري في هذا البيت ولكنها لا تعرف حقيقتها.

– إنها أمريكية .. وهذه هي طريقة الأمريكيين في التفكير ... إنهم متوترو الأعصاب دائمًا ويرتابون في كل شيء .

❁❁❁❁❁

واهتم المفتش بما سمع .. وأدرك أن "**إليزابيث**" تمقت "**سالي**" .. ولكن لماذا..؟ هل لأنها أمريكية ؟ أم أن "**إليزابيث**" تمقت الأمريكيين من أجل "**سالي**"، وأن لديها من الأسباب ما يجعلها تحقد على هذه الفتاة الفاتنة ذات الشعر الأحمر؟ أو لعل الأمر ليس سوى غيرة عادية بين امرأتين .

❁❁❁❁❁

وما إن انصرفت "**إليزابيث جونستون**" حتى قال الجاويش "**كوب**" الذي كان يقوم بتسجيل ما يدور في التحقيق :

– هل تم استجواب الجميع يا سيدي ؟

– نعم .. ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ لا شيء تقريبًا .. هل تعلم ماذا سأفعل يا "**كوب**" ؟ سأعود إلى هذا البيت غدًا مزودًا بأمر التفتيش وسأقلب كل شيء فيه رأسًا على عقب .. لا بحثًا عن شيء معين ، ولكننا قد نقع على شيء ينير لنا الطريق .

- 12 -

قال "**بوارو**" لسكرتيرته :

– هلا اتصلت بأختك تليفونيًّا يا آنسة "**ليمون**" ؟ أريد التحدث إليها ..

وبعد لحظة ، تناول السماعة من يد الآنسة "**ليمون**" .

– آلو .

– نعم يا سيد "**بوارو**" .

– أرجو ألا أكون قد أزعجتك .

– ليس ثمة إزعاج أكثر مما أعانيه الآن .

– هل من جديد ؟

– لقد فرغ المفتش "**شارب**" من استجواب النزلاء أمس ، وحضر اليوم مزودًا بأمر تفتيش .. ولا أستطيع أن أصف لك ثورة السيدة "**نيكوليتس**" وهياجها .. وهأنذا أحاول أن أعطيها عقارًا مهدئًا .

– أنا آسف يا سيدة "**هبارد**" ولكني أريد أن ألقي عليك سؤالاً بسيطًا .. إنك أرسلت لي قائمة بالأشياء التي اختفت .. والحوادث الغريبة التي وقعت .. فهل سجلتها في القائمة بترتيب حدوثها ؟

– لا .. إنني سجلتها كيفما اتفق .

– حسنًا .. إنني أرجوك أن تجلسي في وقت فراغك وتفكري جيدًا وتحاولي أن تسجلي الأحداث بترتيب وقوعها .

– سأحاول بقدر ما أستطيع يا سيد "**بوارو**" .

– شكرًا لك يا سيدتي .

❁❁❁❁❁

عندما وصل المفتش "**شارب**" ومعه أمر التفتيش إلى رقم 26 شارع "**هيكوري**" ، طلب مقابلة السيدة "**نيكوليتس**" التي كان يعلم أنها تحضر إلى البيت في أيام

السبت ؛ لتصفية حساب الأسبوع مع السيدة "**هبارد**" .

وما إن علمت المرأة بمهمة مفتش البوليس حتى ثارت ثائرتها وصاحت :

– ولكن هذه إهانة .. سوف يترك النزلاء البيت ويحيق بي الخراب .

– لا يا سيدتي .. أعتقد أن النزلاء سيفهمون .. ثم إننا حيال جريمة قتل .

– ليست هناك جريمة ، إنه حادث انتحار .

– سأبدأ بتفتيش هذه الغرفة يا سيدتي .

فثرثرت السيدة "**نيكوليتس**" وغضبت واحتجت بشدة وصاحت :

– فتش حيث شئت .. ولكن لا تفتش هذه الغرفة .. إنني أرفض .

– آسف يا سيدتي ولكني سأفتش البيت من أعلاه إلى أسفله .

– افعل ما شئت ولكن لا تفتش غرفتي .. إنني فوق القانون .

– لا أحد فوق القانون يا سيدتي .

– هذه فضيحة .. سوف أكتب لممثل هذه المنطقة في البرلمان ، سوف أكتب للصحف .

– اكتبي لمن شئت يا سيدتي .. إنني سأفتش هذه الغرفة .

وشرع في تفتيش المكتب ثم انتقل إلى دولاب في أحد الأركان .

وقال :

– هذا الدولاب مغلق ، أرجو أن تعطيني مفتاحه .

فصاحت المرأة :

– أبداً .. أبداً .. أبداً لن تأخذ المفتاح أيها الشرطي المتوحش .. إنني أحملك المسؤولية .

– إذا لم تعطيني المفتاح فسأضطر إلى تحطيم الباب .

– لن أعطيك المفتاح ولن تظفر به إلاّ إذا مزقت ثوبي واخذته من صدري .

فقال المفتش بهدوء :

– ابحث عن مطرقة يا "**كوب**" .

فصرخت السيدة "**نيكوليتس**" وولولت ، ولكن "**شارب**" لم يلق إليها بالاً .

وأحضر "**كوب**" مطرقة ، فتناولها "**شارب**" وأهوى بها على الدولاب ففتح بابه.. وانحدر منه عدد لا يحصى من زجاجات الشراب الفارغة .

وصاحت السيدة "**نيكوليتس**" :

– وحش .. حيوان .. وغد .

فقال "**شارب**" في أدب :

– شكراً لك يا سيدتي لقد انتهى عملنا هنا .

وأخذت السيدة "**هبارد**" تعيد الزجاجات إلى مكانها من الدولاب ، بينما لم تكف السيدة "**نيكوليتس**" عن صب لعناتها على المفتش .

وهكذا .. انكشف أول سر .. ونعني به سر ثورات السيدة "**نيكوليتس**"ونوباتها الهستيرية .

*****

وفي هذا الوقت بالذات دق جرس التليفون وكان المتكلم هو "**بوارو**" .. فدار بينه وبين السيدة "**هبارد**" الحديث الذي أوردناه ، وعادت هذه الأخيرة إلى حيث كانت السيدة "**نيكوليتس**" تصرخ وتضرب الأرض بقدميها ، فأرقدتها على الأريكة وقدمت لها قرصاً من الحبوب المهدئة ، وقالت لترفه عنها :

– تناولي هذا القرص وستشعرين بأنك أحسن حالاً .

فصاحت المرأة :

– "**جستابو**" .. إنهم أسوأ من "**الجستابو**" .

– إن المفتش لم يفعل أكثر من أنه أدى واجبه .

– هل واجبه أن يدس انفه في دولابي الخاص ؟ لولا وجودك شاهدة لمزق ثوبي وأخذ المفتاح من صدري .

– لقد انتهى كل شيء الآن ، ولو كنت مكانك لتناسيت ما حدث .

– ما أيسر أن تقولي ذلك .. إن هذا المكان لم يعد مأموناً بالنسبة إليّ .. لم أكن أريدهم أن يعرفوا ماذا كان في دولابي .. والآن قد عرفوا .. فماذا سيظنون ؟

– من يا سيدة "**نيكوليتس**" ؟

– أنت لا تفهمين .. إنني أشعر بقلق شديد .

– إذا كنت تخافين شيئًا فأنبئيني .. فقد أستطيع مساعدتك .

– حمداً لله على أنني لا أبيت هنا .. إن جميع الأقفال هنا متشابهة .. ومفتاح واحد يفتحها .

– ماذا تخشين ؟ لماذا لا تصارحينني ؟

– أنت نفسك قلت إن جريمة قتل ارتكبت هنا .. وطبيعي أن يشعر الإنسان بالقلق و أن يتساءل : من سيكون الضحية التالية ؟

- 13 -

وقفت السيارة الأجرة أمام المنزل رقم 26 بشارع "**هيكوري**" وهبط منها "**بوارو**" ودق الجرس .

وفتح" **جيرونيمو**" الباب وعرف "**بوارو**" ورحب به كما لو كان صديقًا قديمًا .

وكان أحد رجال الشرطة يقف بالبهو ، فذهب الخادم بـ"**بوارو**" إلى قاعة الطعام وأغلق بابها وقال في همس :

– لقد أصبحت الحياة لا تطاق .. إن رجال الشرطة هنا طول الوقت يبحثون ويفتشون ويلقون عشرات الأسئلة .

– هل أستطيع مقابلة السيدة "**هبارد**" ؟

– إنها في الطابق الأول تعال معي .

– صبراً لحظة .. هل تذكر يوم اختفاء المصابيح الكهربائية ؟

– نعم أذكره .. كان ذلك منذ وقت طويل .. أعني منذ شهرين أو ثلاثة .

– أين كانت المصابيح التي اختفت ؟

– في البهو وقاعة الجلوس .

– هل تذكر التاريخ بالضبط ؟

– لا .. ولكنني أذكر أن ذلك حدث يوم أن جاء رجال الشرطة .. في أحد أيام شهر فبراير (شباط) الماضي .

– رجال الشرطة ؟ ولماذا جاءوا ؟

– كانوا يبحثون عن طالب متهم في جريمة أخلاقية .. قيل إنه كان يعيش من كد النساء الساقطات .. وقد قابلوا السيدة "**هبارد**" فقالت لهم إنه أقام بالبيت بضعة أيام ثم طردته .

– هل أنت واثق بأن المصابيح اختفت في ذلك اليوم ؟

– نعم .. لأنني حاولت إضاءة قاعة الجلوس ولكن النور لم يضيء ، فبحثت عن المصابيح التي كنا نختزنها ، ولكنني لم أجدها أيضًا ، واضطررت آخر الأمر إلى إشعال بعض الشموع .

ورحبت السيدة "**هبارد**" بـ"**بوارو**" وقدمت إليه القائمة التي طلبها .

قالت له :

– لقد بذلت قصارى جهدي لتسجيل الأحداث بترتيب وقوعها .. ولست أجزم بأن هذه القائمة صحيحة مائة في المائة .. فإن من العسير تذكر أشياء وقعت على مدى عدة شهور .

– أشكرك يا سيدتي .. وكيف حال السيدة "**نيكوليتس**" ؟

– أعطيتها مهدئًا وأرجو أن تخلد إلى النوم. إنها أثارت ضجة مخيفة حين أراد المفتش فتح دولابها الخاص .. وعندما فتح الدولاب عنوة ، انهار جبل من زجاجات الشراب الفارغة .

– آه .. هذا يفسر أشياء كثيرة .

*****

وجلس "**بوارو**" وألقى نظرة سريعة على القائمة .

– أراك قد سجلت الحقيبة في رأس القائمة .

- إن حادث الحقيبة لم يكن مهمًّا ولكنه كان أول حادث وقد تذكرته على الرغم من تفاهته ، لأنه اقترن بظروف مؤسفة خاصة بأحد الطلبة الملونين .. كنت قد طلبت من هذا الطالب أن يغادر البيت ، وبعد يوم أو يومين وجدت الحقيبة ممزقة فتطرق إلى ذهني أن الطالب ربما فعل ذلك قبل رحيله على سبيل الانتقام .

- لقد روى لي "**جيرونيمو**" شيئًا بهذا المعنى وقال إن رجال البوليس جاءوا للبحث عن ذلك الطالب . هل اكتشفتم حادث الحقيبة عقب قدوم الشرطة مباشرة ؟

- نعم ، وأذكر أن "**ليونارد بيتسون**" كان يعتزم القيام برحلة ولم يجد الحقيبة، فأحدث ضجة كبيرة واشترك الجميع في البحث عنها في كل مكان ، ووجدها "**جيرونيمو**" آخر الأمر ممزقة وملقاة خلف غلاية الماء .. كان عملاً سخيفًا لا معنى له .

- قال "**جيرونيمو**" إن بعض المصابيح الكهربائية اختفت أيضًا يوم قدوم رجال الشرطة .

- نعم ، وأنا أذكر ذلك جيداً فقد هبطت مع ضابط الشرطة إلى قاعة الجلوس لسؤال "**أكيبومبو**" عما إذا كان يعرف العنوان الجديد لذلك الطالب المنحرف ، فوجدت القاعة مضاءة بالشموع .

- هل كان في القاعة أحد غير "**أكيبومبو**" ؟

- كان الوقت مساء وكان جميع الطلبة تقريبًا هناك ، وعندما سألت "**جيرونيمو**" عن المصابيح قال إنها اختفت، وضايقتني هذه المزحة السخيفة ولكني لم أعرها اهتمامًا كبيراً في ذلك الحين .

- وتلك الحقيبة .. هل كانت حقيبة من نوع خاص ؟

- لا .. إنها حقيبة عادية جداً .

- هل أستطيع أن أرى واحدة تشبهها ؟

- بالتأكيد.. إن لدى "**كولين**" حقيبة وكذلك "**نيجل**" .. وقد ابتاع "**ليونارد**" حقيبة أخرى .. وجميعها متشابهة .. ومن طراز واحد .. بل ومن حانوت واحد

يقع في نهاية هذا الشارع .

قالت ذلك ورافقته إلى غرفة "**كولين ماكناب**" .. ولم يكن "**كولين**" موجوداً .. ففتحت السيدة "**هبارد**" دولابه وتناولت حقيبة قدمتها إلى "**بوارو**" فقال هذا وهو يفحصها :

– إنها متينة .. وتمزيقها يتطلب عناء وقوة .

ثم سار إلى الشرفة .. وكانت تطل على حديقة صغيرة خلف المبنى .

قال :

– أظن أن هذا الجناح أهدأ من الجناح الأمامي .

– هذا صحيح .. وإن كان شارع "**هيكوري**" في الواقع قليل الضوضاء .

– وأين غرفة الغلاية ؟

فقالت السيدة "**هبارد**" وهي تشير نحو ركن الحديقة :

– هناك .. بجوار مخزن الفحم .

– من الذي يقيم في الغرف المطلة على هذه الحديقة ؟

– الغرفة المجاورة يشترك فيها "**نيجل شابمان**" و"**ليونارد بيتسون**" ، والغرفة التي تليها تقع في البيت المجاور وهو بيت الطالبات ، وكانت تشغلها "**سيليا أوستن**" ، وتليها غرفتا "**إليزابيث جونستون**" و"**باتريشيا لين**" ، أما غرفتا "**فاليري**" و"**جين توملنسون**" فتطلان على الشارع .

– قلت إن في نهاية الشارع متجراً يبيع هذه الحقائب .. هل تذكرين اسمه ؟

– أظن أن اسمه "**هكس**" .

❁❁❁❁❁

وبعد بضع دقائق ، كان "**بوارو**" يفحص الحقائب القماش التي يبيعها محل "**هكس**" بدعوى أنه يرغب في شراء حقيبة لابن أخته المولع بالأسفار والرحلات.. وابتاع إحدى الحقائب وغادر المتجر ليجد نفسه وجهًا لوجه أمام المفتش "**شارب**" الذي هتف حينما رآه :

– ها ذا الشخص الذي وددت أن أقابله .

– هل فرغت من تفتيش البيت ؟

– نعم ، ولكن بلا نتيجة تذكر .. يوجد محل للشطائر على مقربة من هنا .. هلم بنا إليه لنتناول قدحًا من القهوة إذا لم تكن مشغولاً ..إنني أريد التحدث إليك .

وكان المحل خاليًا من الزبائن .. فانتحى الرجلان ركنًا فيه .وراحا يتناولان الشطائر والقهوة ويتحدثان .. واستعرض "**شارب**" نتائج استجواب الطلبة والطالبات ، قال :

– الشخص الوحيد الذي تحوم حوله الشبهات هو "**نيجل شابمان**" ، ولكن لم يثبت أن بينه وبين "**سيليا أوستن**" عداء ، وقد كان صريحًا غاية الصراحة في أقواله .. مما ينفي مسؤوليته عن الجريمة .

ثم انتقل إلى الحديث عن "**إليزابيث جونستون**" وروى ما قالته عن "**سيليا**" واستطرد قائلاً :

– إذا صح أن "**سيليا**" قالت : "سوف أعرف المزيد غدًا" .. فإن هذه العبارة يكون لها مغزاها .

– لأن الفتاة المسكينة لم تر ذلك الغد ، ولكن هل أسفرت عملية التفتيش عن نتائج ؟

– أسفرت عن أمرين غير متوقعين .. الأول أن "**إليزابيث جونستون**" تنتمي إلى أحد الأحزاب اليسارية .. إذ وجدنا بطاقة عضويتها في هذا الحزب .. والعجيب أن هذه الفتاة ذات الشخصية القوية لم تحاول القيام بأي نشاط دعائي بين زملائها وزميلاتها .. والثاني أن والد "**ليونارد**" نزيل بأحد مستشفيات الأمراض العقلية ولا يرجى شفاؤه .. ولكني لا أعتقد أن لكلا الأمرين صلة بالجريمة .

كذلك وجدنا في درج بدولاب "**باتريشيا لين**" منديلاً ملوثًا بالحبر الأخضر .

– "**باتريشيا لين**" ؟ إذن لعلها هي التي سكبت الحبر على أوراق "**إليزابيث**" .

– لا أظن ذلك .. فهي آخر من يقدم على عمل يثير الشبهات حول "**نيجل**

شابمان " .. والأرجح أن يكون بعضهم قد دس عليها المنديل .

وصمت قليلا ثم قال :

– المهم أننا لم نجد ما كنا نبحث عنه .. فلم يكن هناك أي أثر لجوازات سفر مزورة .

– وهل كنت تتوقع أن تجد الجوازات المزورة مبعثرة هنا وهناك ؟

– الواقع أنني لا أرى بصيصاً من النور .

– سترى هذا البصيص إذا بدأت من البداية .

– وما البداية في رأيك يا سيد "**بوارو**" .. ؟

فقال "**بوارو**" في هدوء :

– البداية هي حقيبة القماش يا صديقي .. لقد بدأ كل شيء من الحقيبة .

- 14 -

قالت السيدة "**نيكوليتس**" وهي تهم بالخروج :

– أرجو أن ترسلي في طلب من يصلح باب دولابي ، وأن تبعثي بالفاتورة إلى إدارة الشرطة .

فقلبت السيدة "**هبارد**" شفتيها ولم تجب .. واستطردت السيدة "**نيكوليتس**" قائلة :

– كذلك أرجو أن تستبدلي بمصابيح الردهة مصابيح أقوى ..

– ولكنك كنت تطالبين بضرورة الاقتصاد في استهلاك الكهرباء .

– كان ذلك في الأسبوع الماضي ، أما الآن فالأمر اختلف .. إنني أنظر الآن ورائي فيخيل إليّ أن هناك من يتعقبني .

– هل أنت واثقة بأنك تستطيعين العودة إلى بيتك بمفردك ؟

– سأكون أكثر اطمئناناً هناك .. طاب مساؤك ..

وغادرت السيدة "**نيكوليتس**" البيت وسارت في شارع "**هيكوري**" إلى نهايته ،

ثم اجتازت زقاقًا ضيقًا يؤدي إلى شارع كبير تمر به الحافلات ..

وفي أحد أركان هذا الشارع ، كان يوجد مقهى (عقد الملكة) .

واقتربت السيدة "**نيكوليتس**" من المقهى ، وأبطأت في مشيتها ، ثم نظرت حولها بحذر ، حتى إذا اطمأنت إلى أن أحداً لا يراها ، دلفت إلى المقهى وطلبت قدحًا من الشراب .. راحت تحتسيه ببطء ولكنها ما لبثت أن انتفضت حين سمعت صوتًا خلفها يقول :

– السيدة "**نيكوليتس**" .. !! لم أكن أعلم أن هذا محلك المفضل ..

– أهذا أنت ؟ كنت أظن ..

– لا تظني شيئًا .. ماذا تشربين .. ؟ تناولي قدحًا آخر على حسابي ..

– لقد أزعجني أولئك الأوغاد حين فتشوا غرفتي .. أنا لست مولعة بالشراب ولكني أحسست بشيء من الضعف وأنا في طريقي، وخطر لي أن قليلاً من الشراب..

– ليس أفضل من الشراب .. تناولي هذا ..

وبعد وقت قصير ، غادرت السيدة "**نيكوليتس**" المقهى وهي تشعر بالانتعاش . وكان الطقس جميلاً ، فقررت ألاّ تستقل الحافلة وأن تمضي في طريقها سيراً على قدميها ولكن خيل إليها بعد قليل أنها تترنح ... وأن قدميها لا تجدان الطريق .. فقالت لنفسها إنها لابد قد أجهدت وأنه كان خيراً لها لو أنها لم تسرف في الشراب ... إنها إذا استندت إلى أحد الجدران وأغمضت عينيها قليلاً فإن ..

❁❁❁❁❁

كان رجل الشرطة يسير في دركه حين قال له أحد المارة :

– أيها الشرطي .. توجد امرأة ممددة على الأرض في ركن الشارع وأظن أنها مريضة ..

فأسرع الشرطي إلى حيث أشار عابر السبيل . وانحنى فوق المرأة ، وشم رائحة الشراب وغمغم قائلاً :

– إنها أسرفت في الشراب وقد أغمي عليها . .

❁❁❁❁❁

فرغ "**بوارو**" من تناول فطوره ، وانتقل إلى غرفة بها منضدة عليها أربع حقائب من القماش . . متشابهة تمامًا . . حجمًا ولونًا وصناعة .

كانت بينها الحقيبة التي اشتراها هو بالأمس ، أما الحقائب الثلاث الأخرى فقد ابتاعها خادمه "**جورج**" من متاجر مختلفة .

وعكف "**بوارو**" على فحص الحقائب بدقة وعناية ، وقد أدهشه عدم وجود أي فارق بينها رغم أنه دفع في الحقيبة التي اشتراها نصف المبلغ الذي دفعه "**جورج**" ثمنًا لكل حقيبة من الحقائب الأخرى .

وبعد تفكير عميق . . جاء بسكين مزق به الحقائب تمزيقًا تامًّا . ثم جلس ينظر إلى أشلائها وعلى شفتيه ابتسامة .

وأخيراً ، أخرج من جيبه القائمة التي قدمتها إليه السيدة "**هبارد**" في اليوم السابق وقرأ فيها ما يلي :

– حقيبة من القماش، "**ليونارد بيتسون**" .

– مصابيح كهربية .

– سوار، "**جنفييف**" .

– خاتم الماسي، "**باتريشيا**" .

– علبة مساحيق، "**جنفييف**" .

– حذاء سهرة، "**سالي**" .

– أحمر شفاه، "**إليزابيث جونستون**" .

– قرط، "**فاليري**" .

– سماعة طبيب، "**ليونارد بيتسون**"

– أملاح معطرة .

– شملة ممزقة "**فاليري**" .

– سروال، "**كولين**" .

–كتاب طهو .

– مسحوق البوريك، "**شندرالال**" .

حبر على أوراق "**إليزابيث**"

ونظر "**بوارو**" طويلاً إلى هذه القائمة وقال لنفسه : " يجب استبعاد الأشياء التي لا أهمية لها .. " .

وكانت لديه فكرة عمن يستطيع مساعدته في هذه المهمة ، فاتصل تليفونيًا برقم 26 شارع "**هيكوري**" ، وطلب التحدث إلى الآنسة "**فاليري هوبهاوس**" .

وبعد قليل سمع صوتها في الطرف الآخر وهي تقول :

– "**فاليري هوبهاوس**" .

– أنا "**هركيول بوارو**" .. هل تذكرينني ؟

– بالتأكيد أذكرك يا سيد "**بوارو**" ، ماذا أستطيع أن أفعله من أجلك ؟

– أريد أن أتحدث إليك قليلاً .. هل أجدك بالبيت ؟

– نعم .. سأنتظر .. وسأقول لـ "**جيرونيمو**" أن يأتي بك إلى غرفتي .. إن الزيارات مباحة في أيام الآحاد .

– شكرًا لك يا آنسة .

وقابله "**جيرونيمو**" عند الباب وذهب به إلى غرفة "**فاليري هوبهاوس**" .

كانت غرفة نظيفة جميلة مؤثثة بذوق سليم لتكون غرفة نوم واستقبال في وقت واحد ووقفت "**فاليري** " لتحيته والترحيب به .

كان يبدو عليها الإجهاد ، وحول عينيها دوائر سوداء .

قال "**بوارو**" وهو يجيل الطرف حوله :

– يا لها من غرفة أنيقة .. !!

فابتسمت الفتاة وأجابت :

– إنني أقيم هنا منذ عامين ونصف العام وقد استطعت أن أترك لنفسي أجمل ما في البيت من قطع الأثاث .

– هل أنت طالبة يا آنسة ؟

– لا .. إنني أمارس بعض الأعمال التجارية .

– في شركة لمستحضرات التجميل .. أليس كذلك .. ؟

– إنني أقوم بالتسويق لحساب صالون "**سابرينا**" للتجميل ، وأملك عدداً بسيطًا من أسهم المحل . ونحن نبيع – إلى جانب مستحضرات التجميل – جميع الملابس النسائية الداخلية المستوردة من "**باريس**" ..وهذا في الواقع هو تخصصي .

– هل ترددين كثيراً على "**باريس**" ؟

– إني أذهب إليها مرة أو مرتين كل شهر .

– معذرة عن فضولي يا آنسة .. فإنني ..

– لا بأس .. يجب أن نتجاوز عن كل أنواع الفضول في الظروف التي نمر بها الآن .

وقدمت إليه لفافة تبغ وأشعلت لنفسها لفافة .

سألها :

– هل استجوبك المفتش "**شارب**" يا آنسة ؟

– نعم .

– وهل ذكرت له كل ما تعلمين ؟

– بالتأكيد .

– لا أظن .

– ما دمت لم تسمع إجاباتي عن أسئلة المفتش فإنك لا تستطيع أن تصدر حكمًا.

وصمتت قليلاً ثم قالت بحزم :

– هل أستطيع أن أعرف الغرض من هذه الزيارة يا سيد "**بوارو**" ؟

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. يا آنسة .

وأخرج من جيبه لفافة صغيرة وقال :

– هل تعرفين ماذا يوجد في هذه اللفافة ؟

– إنني لست عرافة يا سيد "**بوارو**" .. وعيناي لا تنفذان إلى داخل اللفافة.

– في هذه اللفافة الخاتم الذي سرق من الآنسة "**باتريشيا لين**" .

– تعني خاتم خطبة أمها ؟ ولكن من أوصله إليك ؟

– طلبت إليها أن تعيرني إياه ليوم أو يومين ..

فرفعت "**فاليري**" حاجبيها في دهشة وغمغمت قائلة :

– أحقًّا ؟

– لقد أثار هذا الخاتم اهتمامي .. أثار اهتمامي باختفائه وعودته .. وكل ما يتصل به .. فطلبت إلي الآنسة "**باتريشيا**" أن تعيرني إياه ، ثم انطلقت به إلى صديق لي من تجار الجواهر ، وطلبت إليه أن يفحص الماسته ، وهي كما تذكرين الماسة كبيرة تحيط بها مجموعة من الماسات الصغيرة . أنت تذكرينه يا آنسة .. أليس كذلك ؟

– ربما .. الواقع أنني لا أذكر جيداً .

– ولكنك وجدته في حسائك .

– هذا صحيح .. وقد كدت أبتلعه .

– ذهبت إذن إلى صديقي الصائغ وسألته رأيه في الألماسة . فهل تعرفين ماذا كان جوابه ؟

– وكيف أعرف ؟

– كان جوابه أنها الماسة مزيفة .

فهتفت الفتاة :

– يا إلهي !! هل تعني أن "**باتريشيا**" كانت تظنها الماسة حقيقية، ثم تظهر أنها قطعة من الزجاج ؟

– لا .. لست أعني ذلك .. لقد كان الخاتم – كما فهمت – هو خاتم خطبة

والدة "**باتريشيا**" .. و"**باتريشيا لين**" من أسرة طيبة كانت في وقت ما تملك ثروة واسعة .. والأسر التي في هذا المستوى تعقد أهمية كبيرة على خاتم الخطبة، وتحرص على أن يكون خاتمًا قيمًا به ألماسة ثمينة .. وأنا واثق بأن والد "**باتريشيا**" ما كان ليقدم لأمها إلاّ خاتمًا ثمينًا .

– إنني أعتقد ذلك أيضًا .

– إذن لابد أن تكون ألماسة مزيفة قد استبدلت بالألماسة الحقيقية في وقت ما فيما بعد .

فقالت "**فاليري**" ببطء :

– أكبر الظن أن "**باتريشيا**" فقدتها ولم تستطع تدبير ثمن ألماسة مثلها فاستعاضت عنها بألماسة زائفة .

– ربما .. ولكني لا أظن أن هذا ما حدث .

– ما الذي تظنه قد حدث إذن ؟

– أظن أن "**سيليا**" سرقت الخاتم ، وأن الألماسة انتزعت عمداً واستبدلت أخرى بها قبل إعادة الخاتم إلى صاحبته .

فاعتدلت "**فاليري**" في جلستها وسألت :

– هل تظن أن "**سيليا**" سرقت الألماسة عمداً ؟

فهز "**بوارو**" رأسه وأجاب :

– لا .. أظن أنك أنت التي سرقتها يا آنسة .

فبهتت الفتاة وقالت :

– هذه تهمة خطيرة .. وليس لديك أي دليل .

– بل لدي الدليل : إن الخاتم أعيد في وعاء الحساء .. ولقد تناولت العشاء معكم منذ أيام ورأيت الطريقة التي يقدم بها الحساء .. فلاحظت أن "**جيرونيمو**" يوزع الحساء من وعاء كبير موضوع أمامه على طرف المائدة ، فإذا وجد أحدهم الخاتم في صحفته فلابد أن يكون الذي وضعه إما "**جيرونيمو**" أو صاحب الصحفة نفسه .. وأنا لا أظن أن "**جيرونيمو**" قد فعل ذلك .. إذن فأنت التي وضعته .. واخترت

هذه الطريقة المسرحية إرضاء لولعك بالدعابة ، ولم تدركي أنك بذلك قد فضحت نفسك .

فقالت باحتقار :

– أهذا كل ما عندك ؟

– لا ، ليس هذا كل ما عندي .. عندما اعترفت "**سيليا**" بمسؤوليتها عن السرقات لاحظت أنها قالت : " لم أكن أعلم أن الخاتم ذو قيمة ، فلما علمت ، رددته إلى صاحبته" فكيف علمت يا آنسة "**فاليري**" ؟ من قال لها إنه خاتم ثمين ذو قيمة كبيرة ؟ ثم عندما تكلمت عن الشملة الممزقة قالت ما معناه : "إن "**فاليري**" لن تهتم" ، فلماذا لا يهمك تمزق شملتك الحريرية الثمينة يا آنسة؟ إنني أدركت على الفور .. أن إقدام "**سيليا**" على السرقة وتظاهرها بالإصابة بداء "**الكلبتومانيا**" لكي تلفت إليها نظر "**كولين ماكناب**" كان بإيحاء شخص آخر، شخص أذكى من "**سيليا**" وأعمق منها فهمًا للمسائل النفسية .. أنت التي أوحيت إليها بالفكرة ، وأنت التي نبهتها إلى قيمة الخاتم وأخذته منها لرده .. وأنت التي اقترحت عليها أن تمزق شملتك الحريرية .

– كل هذا ليس سوى نظريات .. ونظريات لا يصدقها عقل . إن مفتش الشرطة سألني بالفعل عما إذا كنت أنا التي أوحيت إلى "**سيليا**" بالفكرة .

– وبماذا أجبته ؟

– أجبته بأن ذلك غير معقول .

– وبماذا ستجيبينني ؟

فنظرت إليه طويلاً وضحكت ضحكة قصيرة وقالت وهي تطفئ لفافتها وتعتدل في جلستها :

– إنك على حق .. أنا التي أوحيت إليها بالفكرة .

– هل لي أن أسأل لماذا ؟

– كانت خدمة إنسانية بحتة .. وبحسن نية .. كانت "**سيليا**" مولعة بـ"**كولين**" وهو لا يعيرها التفاتًا ، ولا يقيم وزنًا لغير بحوثه ودراساته السيكولوجية ، فأحببت

أن أستغفله بقدر ما كرهت أن أرى "**سيليا**" تعسة وشقية . وهكذا تحدثت إليها ، وأوضحت لها الخطة ، وحرضتها على تنفيذها ، فخافت أولاً ثم أقدمت .. وكانت مغامرتها الأولى سرقة الخاتم الذي تركته "**باتريشيا**" في الحمام ، كان خاتمًا ثمينًا جديراً بأن يثير فقده ضجة كبيرة ، وبأن تتدخل الشرطة في الأمر فنقع في مأزق خطير ؛ لذلك أخذت الخاتم منها لكي أرده ونصحت لها بأن تقتصر في المستقبل على سرقة الأشياء التافهة التي ليست لها قيمة مادية .. كما اقترحت عليها أن تتلف شيئًا من أمتعتي درءًا للظن .

– ذلك بالضبط ما خطر لي .

– إنني الآن أتمنى لو أنني لم أقترح عليها شيئًا ، ولكنني أؤكد لك أنني فعلت ذلك بحسن نية وبدافع عاطفي وإنساني .

– لنعد الآن إلى الحديث عن خاتم "**باتريشيا**" .. إنك أخذت خاتمًا من "**سيليا**" لكي تعيديه إلى "**باتريشيا**" .. فماذا حدث قبل أن تعيديه ؟

ونظر إليها ، ورأى أصابعها تمر على عنقها بحركة عصبية ..

فسألها :

– هل كنت في أزمة مالية .

فأومأت برأسها علامة الإيجاب وقالت بمرارة بدون أن تنظر إليه :

– أظن أنه يحسن بي أن أعترف لك بكل شيء .. إن مصيبتي يا سيد "**بوارو**" هي أنني مقامرة .. إن المقامرة أشبه بالغرائز المتأصلة التي لا حيلة للإنسان فيها .. وأنا عضو في ناد صغير للمقامرة بحي "**مايفير**" . ولن أذكر لك اسم هذا النادي حتى لا أكون مسؤولة إذا دهمه رجال الشرطة .. وفي هذا النادي يمارس الأعضاء كل أنواع اللعب ، وحدث أن لازمني النحس فترة طويلة ثم وقع الخاتم في يدي ، وأقر بأنني مررت بحانوت للصاغة ورأيت في نافذته خواتم ذات الماسات زائفة لا تكاد تفترق عن الألماسات الحقيقية ، فقلت لنفسي : "إن "**باتريشيا**" لن تلاحظ شيئًا إذا أنا استبدلت بألماسة الخاتم ألماسة زائفة .. لأن الإنسان قلما ينظر بإمعان إلى خاتم يعرفه تمام المعرفة .. وإذا رأى أي تغييرفي صفاته فإنه يعزو ذلك – عادة – إلى

حاجته إلى التنظيف" .

وهكذا خضعت للإغراء واستبدلت الألماسة ، وتظاهرت في المساء بأنني وجدت الخاتم في الحساء . هذا ما حدث يا سيد "**بوارو**" ، وأؤكد لك أنني ما قصدت أن يقع اللوم على "**سيليا**" المسكينة في موضوع الألماسة .

– إنني أصدقك .. وأعتقد أنها ليست سوى فرصة عرضت لك وظننتها سهلة ميسورة فانتهزتها ، ولكنك ارتكبت غلطة جسيمة يا آنسة .

– إنني أدرك ذلك .

ثم انفجرت قائلة بيأس :

– ولكن ما الفائدة . الآن ؟ أبلغ الشرطة عني إذا شئت .. أبلغ "**باتريشيا**" .. أبلغ مفتش الشرطة .. أبلغ الدنيا كلها .. فلن يفيد ذلك في إماطة اللثام عن سر مصرع "**سيليا**" .

– لا أحد يعلم ما يفيد وما لا يفيد .. كان لابد لي أن أستبعد الأشياء الكثيرة التي تشيع الارتباك وتعرقل التحقيق ، وكان من الضروري أن أعرف من الذي أوحى إلى "**سيليا**" بأن تلعب الدور الذي لعبته .

أما بخصوص الخاتم فإنني أقترح عليك أن تذهبي بنفسك إلى "**باتريشيا**" وتعترفي لها بما فعلت ، وتعبري لها عن أسفك بالطريقة المألوفة .

– هذه نصيحة طيبة بصفة عامة .. حسناً .. سأذهب إلى "**باتريشيا**" وأتجرع كأس الهوان حتى الثمالة ..إنها فتاة كريمة .. وسأقول لها إنني سأبتاع لها ألماسة أخرى حينما أستطيع ذلك .أليس هذا ما تريده يا سيد "**بوارو**" ؟

– إنه ليس ما أريده .. ولكنه ما أنصح به .

– وفي هذه اللحظة فتح الباب فجأة ودخلت السيدة "**هبارد**" وهي تلهث ورأت "**فاليري**" على وجهها ما جعلها تهتف :

– ماذا حدث يا أماه ؟

فقالت السيدة "**هبارد**" وهي تتهالك على أحد المقاعد :

– السيدة "**نيكوليتس**" .

– ماذا أصابها ؟

– يا إلهي .. !! لقد ماتت .

فصاحت "**فاليري**" بصوت أجش :

– ماتت ؟ كيف ؟ متى ؟

– يبدو أنهم وجدوها في الشارع ليلة أمس ونقلوها إلى قسم الشرطة ظنًّا منهم أنها ..

– أنها ثملة ؟

– نعم .. ولكنها ماتت .

فهمست "**فاليري**" بصوت مرتجف :

– مسكينة السيدة "**نيكوليتس**" .

فسألها "**بوارو**" :

– هل كنت تحبينها يا آنسة ؟

– كانت شيطانة .. ولكني كنت أحبها .. وعندما جئت إلى هنا منذ ثلاثة أعوام لم تكن ضيقة الصدر ، سريعة الغضب كما صارت فيما بعد .. لقد تغيرت كثيرًا في السنة الأخيرة .. ويبدو أنها أدمنت الشراب سرًّا ؛ فقد علمت أنهم وجدوا في دولابها عددًا لا يحصى من الزجاجات الفارغة .

فترددت السيدة "**هبارد**" لحظة ثم انفجرت قائلة :

– أنا الملومة .. فما كان ينبغي أن أدعها تذهب وحدها . إنها كانت تخشى شيئًا ..

فهتف "**بوارو**" و"**فاليري**" بصوت واحد :

– تخشى شيئًا ؟

– قالت مرارًا إنها لا تشعر بالأمان .. وحاولت أن أعرف منها ماذا يخيفها .. ولكنها رفضت الإفضاء بشيء .

فقالت "**فاليري**" :

– هل تعتقدين أنها أيضًا قد ..

ولم تتم عبارتها وأشاحت بوجهها في هلع .

وسأل "**بوارو**" :

– وماذا قالوا عن سبب الوفاة ؟

– لم يقولوا شيئًا .. ويبدو أنهم ينتظرون نتيجة التشريح .

- 15 -

في غرفة هادئة بمبنى "**اسكتلانديارد**" ، جلس أربعة رجال حول مائدة مستديرة..

كان يرأس الاجتماع المفتش "**وايلدنج**" رئيس فرقة مكافحة المخدرات ، وبجانبه القائد "**بيل**" من رجال الفرقة .. وأمامهما المفتش "**شارب**" والسيد "**بوارو**" .

كانت على المائدة أمامهم حقيبة من القماش .

قال "**وايلدنج**" :

– إن الفكرة رائعة حقًّا يا سيد "**بوارو**" .

– إنها ليست سوى فكرة خطرت لي .

– لقد أوضحت لك الموقف بصفة عامة ، فعمليات التهريب مستمرة بطريقة أو بأخرى . ونحن لا نكاد نفرغ من تصفية إحدى العصابات حتى تظهر عصابة جديدة .. وفيما يختص بالمخدرات فإن كميات كبيرة منها قد أدخلت إلى هذه البلاد خلال العامين الأخيرين ويوجد في فرنسا عدة مخازن للمخدرات والبوليس الفرنسي يعرف طريقة دخول المخدرات ولكنه لا يعرف طريقة خروجها.

فقال "**بوارو**" :

– إن المشكلة فيما أرى تمر بثلاث مراحل : التمويل والنقل والتوزيع ..

– إننا نعرف الموزعين ، ونعتقل بعضهم ونترك البعض الآخر أحرارًا لنستدل منهم على الرؤوس الكبيرة ، كذلك نعرف كيف توزع المخدرات في المنتديات الليلية وصالونات الحلاقة ومحال الأزياء النسائية .

- إن المرحلة التي تهمني هي المرحلة الثانية .. كيف تنقل المخدرات وكيف تدخل هذه البلاد .

- إن "**بريطانيا**" جزيرة .. ولا يمكن أن تصل إليها المخدرات إلا عن طريق العاملين في البواخر والطائرات .. أو في تجاويف الآلات والأدوات التي تمر بالجمارك .

- والأحجار الكريمة .. كالألماس مثلاً ؟

- إنها تهرب من جنوب "**إفريقيا**" و"**أستراليا**" والشرق الأقصى بوسائل كثيرة ، ومنذ أيام طلب من فتاة إنجليزية كانت تقوم برحلة في "**فرنسا**" أن تأخذ معها حذاء قديمًا نسيه صاحبه ، ووافقت الفتاة بحسن نية ، فضبطنا الفتاة والحذاء ، ووجدنا في كعب الحذاء كمية ضخمة من الألماس الخام .. ولكن حدثني يا سيد "**بوارو**" .. عن أيهما تبحث : المخدرات أو الأحجار الكريمة؟

- عن أي شيء يمكن تهريبه مما خف حمله وغلا ثمنه .. ولدي من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن هناك عمليات نقل منظمة بين "**إنجلترا**" والقارة الأوروبية ؛ لتهريب الجواهر المسروقة إلى "**فرنسا**" والمخدرات والأحجار الكريمة إلى "**بريطانيا**" .. وهي عمليات قد تكون منقطعة الصلة بالتوزيع .. ومقصورة على النقل فقط نظير عمولات ضخمة .

إن نقطة ضعف المهرب تتركز دائمًا في العنصر البشري ، فأنت لا يسعك إلا أن ترتاب في المرأة التي تقوم برحلات منتظمة إلى "**فرنسا**" ، وفي المستورد الذي يثرى بأسرع مما ينتظر من عمله ، وفي الرجل الذي يعيش في ترف بدون أن يكون له مصدر إيراد ظاهر .. ولكن إذا تمت عملية التهريب بواسطة شخص بريء .. علي أن يستبدل بهذا الشخص غيره كل مرة .. فإن فرص كشف العملية تنعدم تمامًا ..

فأشار "**وايلدنج**" بأصبعه إلى الحقيبة وقال :

- نعم .. والآن .. من أبعد الناس عن الشبهات في هذه الأيام ، الطالب الجاد الرقيق الحال الذي ينتقل في سيارات الآخرين ، ولا يحمل من الأمتعة سوى حقيبة من القماش تتدلى فوق ظهره ؟ .

– هذا الطالب إذا قام بالتهريب أكثر من مرة كان خليقًا بأن يثير الشبهات .. أما إذا تغير الطالب في كل مرة فإن أحداً لن يرتاب في الأمر .

– وكيف يتم ذلك يا سيد "بوارو" ؟

– سأدلي إليك بفكرة .. أعتقد أنها نفذت بنجاح .. لقد طرح بعضهم في الأسواق نوعًا من حقائب القماش ، عادية في شكلها ولا تختلف في مظهرها عما يباع في سائر المتاجر ، مع فارق واحد هو أنها تعرض بثمن بخس يغري الطلبة باقتنائها .

قلت إن هذه الحقائب لاتختلف في مظهرها عن سواها ، ولكنها في صناعتها تختلف اختلافًا جوهريًا غير منظور .. لأن في قاعدتها مخبأ سريًا يتسع لمخدرات أو أحجار كريمة تساوي عشرات الألوف من الجنيهات .. ويمكن إزالة البطانة التي تخفي هذا المخبأ بسهولة وسرعة، كما أثبت لكم ذلك بالحقيبة التي أمامنا الآن .

ومن المؤكد أن وراء هذه العملية منظمة قوية لديها قائمة بأسماء طلبة الجامعات، وقد يكون رئيسها نفسه من الطلبة، كما أن لها عملاء في الخارج..

وهكذا يسافر الطالب إلى الخارج .. وفي رحلة العودة ، يستبدل العملاء بحقيبته أخرى في قاعها المواد المهربة .. أو ينتهزون فرصة ما لوضع المواد المهربة في مخبأ الحقيبة نفسها التي جاء بها الطالب .

ويعود الطالب إلى بيت الطلبة حيث يقيم وهو خالي الذهن تمامًا .. فيخرج أمتعته من الحقيبة ، ويلقي بالحقيبة فوق دولابه أو في أي مكان آخر .. وعندئذ يتحرك عملاء المنظمة لاسترداد المهربات .. إما باستبدال الحقيبة مرة أخرى ، أو باستخراج المهربات من قاعها ..

– هل تظن أن ذلك ما حدث في منزل شارع "هيكوري" ؟

– نعم ..

– ولكن كيف اهتديت إلى هذه الفكرة يا سيد "بوارو" ؟

– علمت أن حقيبة من القماش قد مزقت إربًا .. فتساءلت عن السبب .. وعندما لا يكون هناك سبب واضح فإنه يتعين على الإنسان أن يتخيل سببًا ..

وقد اكتشفت أن جميع الحقائب في بيت الطلبة مصدرها حانوت واحد في نهاية الشارع .. وأن ثمنها أرخص كثيراً من ثمن مثيلاتها في الحوانيت الأخرى .

وكانت حوادث مريبة قد وقعت في ذلك البيت ، ولكن الفتاة التي اعترفت بمسؤوليتهاعن بعض هذه الحوادث اقسمت بانها لم تمزق الحقيبة .. فقلت لنفسي ما دامت الفتاة قد اعترفت بما هو أكبر من تمزيق الحقيبة فلابد أنها صادقة .

إذن فلابد أن يكون هناك سبب آخر لتمزيق الحقيبة ، خصوصاً وأن تمزيقها يتطلب مجهوداً كبيراً كما عرفت ذلك بنفسي ..

ثم لاحظت أن تمزيق الحقيبة قد حدث في اليوم نفسه الذي زار فيه رجال الشرطة البيت بحثاً عن طالب متهم بجريمة أخلاقية .

والآن .. هب أنك تشتغل بالتهريب .. وأنك عدت إلى البيت ذات ليلة ، فقيل لك إن رجال الشرطة يتحدثون إلى السيدة "**هبارد**" في مكتبها .. فماذا يتطرق إلى ذهنك ؟

سيتطرق إلى ذهنك على الفور أن رجال الشرطة اكتشفوا عمليات التهريب ، وأنهم جاءوا للتفتيش والتحقيق وإذا كنت قد قمت أخيراً بإحدى عمليات التهريب فلابد أن يكتشف البوليس أثر المخدرات في قاع حقيبتك .. فماذا تفعل؟

إنك لا تستطيع مغادرة البيت والحقيبة في يدك ، فقد يكون البيت محاصراً بالبوليس.

الوسيلة الوحيدة هي أن تمزق الحقيبة إرباً لتزيل كل أثر للمخبأ السري ، وكل أثر للمخدرات .. ثم إلقاء الأشياء بين المخلفات في غرفة (الغلاية) ..

هذا وقد اقترن حادث الحقيبة بحادث آخر تافه ولكنه ذو مغزى ..

في إثر قدوم رجال الشرطة اكتشف الخادم أن المصابيح الكهربائية في قاعة الجلوس والردهة قد اختفت ، فأراد أن يأتي بسواها ولكنه اكتشف أن المصابيح الكهربائية المختزنة قد اختفت أيضاً ..

إن المعنى الوحيد الذي يمكن استخلاصه ، هو أن بالبيت شخصاً سبق له الاشتغال بالتهريب ، يخشى أن يعرفه رجال البوليس إذا رأوا وجهه تحت ضوء

ساطع .فعمد إلى المصابيح القديمة والجديدة فأخفاها ، مما اضطر الخادم إلى إضاءة القاعة بالشموع .

فقال "**وايلدنج**" :

– يا لها من فكرة شيطانية .. ولكن هل تعتقد أن عملية الحقائب تمارس على نطاق واسع ؟

– نعم في نطاق أندية الطلبة وبيوتهم .

– ولكن يجب أن تكون هناك صلة ما تجمع بين هذه الأندية والبيوت .

وهنا تكلم "**شارب**" لأول مرة ، قال :

– إن الصلة موجودة في شخص المرأة التي تملك بيت شارع "**هيكوري**" كما تملك عدداً كبيراً من بيوت الطلبة وأنديتهم ..

وقال "**بوارو**" :

– نعم .. إن السيدة "**نيكوليتس**" هي الشخص الذي تتوافر فيه الصفات المفترضة .. إن لها مصالح مالية في هذه المؤسسات الطلابية .. وتختار للإدارة أشخاصًا معروفين بالأمانة والنزاهة كالسيدة "**هبارد**" ، ولكنها صاحبة رأس المال.

فقال "**وايلدنج**" :

– أظن أنه يحسن بنا أن نعرف المزيد عن هذه المرأة .

فقال "**شارب**" :

– إننا نبحث عن ماضيها ومركزها المالي وكل شيء عنها ، ولكن في هدوء حتى لا تنزعج بقية الطيور وتلوذ بالفرار .

– إنها ماتت .

– ماتت ؟ أتعني أن في الأمر جريمة ؟

– سنعرف الحقيقة عقب التشريح . أنا شخصيًّا أعتقد أنها أدمنت الشراب وأوشكت على الانهيار فقتلها شركاؤها قبل أن تفضحهم .

– والفتاة "**سيليا أوستن**" .. هل تعتقد أنها عرفت شيئًا عن المنظمة فقتلت لهذا السبب ؟

– ربما .. إنها تحدثت عن جواز سفر مزيف .. فهل كان بالبيت شخص يحمل جواز سفر مزيفًا ؟ وهل كان يستخدم هذا الجواز في الانتقال بين "**إنجلترا**" و"**فرنسا**" ؟

أو لعل الفتاة عرفت سر الحقائب بطريق المصادفة ، أو رأت الشخص الذي أخفى المصابيح الكهربائية ؟ الاحتمالات كثيرة .. لا حصر لها ..

– من تظنه العقل المدبر لعمليات التهريب ؟ السيدة "**نيكوليتس**" ؟

فأجاب "**بوارو**" :

– لا .. أعتقد أن السيدة "**نيكوليتس**" ليست سوى واجهة ..إن لدي فكرة عن صاحب العقل المدبر .. ولكني لست على يقين ..

- 16 -

قال " **نيجل شابمان**" وهو يملأ قدحه بالقهوة للمرة الثانية ويعود إلى مكانه أمام مائدة الطعام :

– هل نتكلم أم لا نتكلم ؟ هذه هي المسألة ..

– فسأله "**ليونارد بيتسون**" :

– ماذا تعني ؟

– أعني هل نقول لرجال الشرطة ما نعرف أم لا نقول ؟

فقالت "**جين توملنسون**" :

– بالتأكيد إذا كانت لدينا معلومات مفيدة فيجب أن نصارح بها رجال الشرطة..

فقال "**نيجل**" وهو يجيل البصر حوله وفي عينيه نظرة مرح خبيثة :

– وهل يذكر كل منا ما يعرفه عن الآخرين ؟ إن كل واحد هنا له أسراره .. حتى عزيزتنا الصغيرة "**جين**" ..

فقالت "**جين**" :

– إنني سأترك هذا البيت وسأقيم في جمعية الشابات المسيحيات .

فقال "**ماكناب**" :

– أظن أن من حقنا في الظروف الحالية أن نعرف حقيقة ما يجري .. فمثلاً..ما سبب وفاة السيدة "**نيكوليتس**" ؟

فقالت "**فاليري**" بفراغ صبر :

– سوف نعرف بعد التشريح ..

وقالت "**باتريشيا**" :

– أظن أنها أصيبت بهبوط في القلب .

فقال "**ليونارد**" :

– قيل إنها شربت حتى عجزت عن الحركة فحملوها إلى مركز الشرطة .

فقالت "**جين**" :

– لقد وجدوا في دولابها عدداً كبيراً من الزجاجات الفارغة ..

فقالت «**باتريشيا**" :

– ذلك يفسر ما كان يبدو في تصرفاتها من دلائل التوتر وضيق الصدر .

فقال "**كولين**" :

– إنني لمحتها في مساء السبت الماضي وهي تهم بدخول مقهى "عقد الملكة".

فقالت "**جين**" :

– أظن أنها ماتت من الإفراط في الشراب .

فقالت "**سالي فينش**" :

– لن أدهش إذا ثبت أنها ماتت مقتولة .

فقال "**كولين**" :

– لا أعتقد أنه كان هناك من يريد قتلها .

فقال "**نيجل**" :

– إنها كانت امرأة مزعجة .. وكل من اتصل بها كان يود قتلها .. أنا شخصيًّا وددت مرارًا أن أقتلها .

قال "**أكيبومبو**" :

– هل ألقي عليك سؤالاً يا آنسة "**سالي**" ؟ إنني فكرت كثيراً بعد أن سمعت ما قيل حول مائدة الفطور صباح اليوم .

فأجابت "**سالي**" وكانت تتناول معه طعام الغداء في الهواء الطلق في حديقة "**ريجنت**" :

– لو كنت مكانك ما فكرت كثيراً يا "**أكيبومبو**" .

– إنني كنت منزعجاً طوال الصباح فلم أجب عن إجابة صحيحة واحدة عن أسئلة أستاذي . وكنت دائم التفكير فيما سمعت؛ ولذلك أود أن أسألك ماذا تعرفين عن "حمض البوريك" ..؟

– لست أفهم ماذا تعني ؟

– يقولون إنه نوع من الأحماض .. فهل هو يشبه حمض الكبريتيك ؟

– لا أظن ذلك .. كل ما أعلمه عنه أنه مادة غير ضارة .

– هل يستطيع الإنسان أن يضعه في عينيه ؟

– أعتقد أن هذه هي وظيفته الوحيدة ..

– إذن فذلك يفسر لماذا كان "**شندرالال**" يضعه في الماء الدافئ ويغسل به عينيه.

– ولكن ما سبب اهتمامك بحمض البوريك ؟

– سأخبرك فيما بعد .. حين أنتهي من التفكير .

– أخشى أن يؤدي التفكير إلى هلاكك .. إنني لا أريدك أن تكون الضحية التالية .

*****

– هل تستطيعين أن تسدي إليّ نصيحة يا "**فاليري**" ؟

– بالتأكيد يا "**جين**" .. رغم أنني أعلم أن الكثيرين يطلبون النصيحة ولا يعملون بها .

– إن الموضوع الذي سأحدثك عنه يتصل بالضمير ..

– إذا كان الأمر كذلك فأنا آخر من يجب أن تلجئي إليه لأنني بلا ضمير على الإطلاق .

– لا تقولي ذلك يا "**فاليري**" ..

– ولكنها الحقيقة .. فأنا أهرب الثياب النسائية من "**باريس**" ، وأردد أبشع الأكاذيب عن جمال النساء الدميمات اللائي يترددن على صالون التجميل .. بل إنني أركب الحافلة أحيانًا ولا أدفع ثمن التذكرة عندما أكون مفلسة .. ولكن تكلمي .. ما خطبك ؟

– بمناسبة ماقيل حول مائدة الفطور ، هل ينبغي حقًّا أن يصرح الإنسان بما يعرفه عن الآخرين ؟

– إن الأمر يتوقف على ما عندك من معلومات .. وعلى مدى أهميتها وخطورتها .. فما الموضوع بالتحديد ؟

– إنه خاص بجواز سفر ..

فدهشت "**فاليري**" واعتدلت في جلستها وهتفت :

– جواز سفر .. ؟ جواز من ؟

– "**نيجل شابمان**" .. إنه يحمل جواز سفر مزيفًا .

– "**نيجل**" ؟ إنني لا أصدق ذلك .

– ولكن هذه هي الحقيقة .. وقد سمعت مفتش البوليس يقول إن "**سيليا**" ذكرت شيئًا عن جواز سفر مزيف ، أفلا يحتمل أن تكون "**سيليا**" قد اكتشفت تزوير جواز "**نيجل**" فقتلها ؟

– الحق أنني لا أصدق كلمة واحدة مما تقولين .. ولكن ما قصة هذا الجواز .. ؟

– إنني رأيته ..

– رأيته بعيني رأسك ؟

– نعم .. وبطريق المصادفة .. أردت أن أتناول شيئًا من حقيبة أوراقي ، وكانت فوق الرف في قاعة الجلوس ، فتناولت حقيبة "**نيجل**" خطأ ، لأن

الحقيبتين متشابهتان .. وهكذا وجدت جواز سفر باسم "**نيجل ستانفورد**" أو "**نيجل ستانلي**" . لا أذكر جيداً ونظرت إلى الصورة فإذا هي صورة "**نيجل شابمان**" وهذا معناه أن له اسمين مختلفين .. أفلا ترين من واجبي أن أخبر الشرطة؟

فضحكت "**فاليري**" وقالت :

– لقد طاش سهمك هذه المرة أيتها العزيزة "**جين**" .. إن التفسير بسيط .. وقد أخبرتني به "**باتريشيا**" .. وهو يتلخص في أن هناك وصية كتبت لمصلحة "**نيجل**" بشرط أن يغير اسمه .. ففعل ذلك بطريقة رسمية لا غبار عليها .. وأعتقد أن لقبه الأصلي هو ""**ستانفورد**" أو "**ستانلي**" ..

– أحقًّا ؟

– لك أن تسألي "**باتريشيا**" إذا كنت لا تصدقينني ..

– لابد أن يكون الأمر كما قلت يا "**فاليري**" ..

– أتمنى لك مزيداً من التوفيق في المرة القادمة !!

– ماذا تعنين ؟

– أعني أنك تحقدين على "**نيجل**" وتريدين توريطه مع الشرطة؛ ولذلك تعمدت البحث في حقيبة أوراقه ..

فرفعت "**جين**" رأسها بكبرياء وقالت :

– لك أن تظني ما تشائين يا "**فاليري**" .. فإنني ما أردت إلاَّ أن أؤدي واجبي.

✽✽✽✽✽

– أريد أن أحدثك عن أمر مهم يا "**نيجل**" ..

فقال "**نيجل**" وهو يقلب محتويات دولابه رأسًا على عقب :

– ما هو يا "**باتريشيا**" .. يا إلهي؟ !! أين وضعت تلك المذكرات ؟

– يجب أن أعترف لك يا "**نيجل**" ..

– أرجو ألاَّ تكوني قد ارتكبت جريمة قتل ..

– لا بالتأكيد ..

– إذن ما خطيئتك .. ؟

– هل تذكر زجاجة "**طرطيرات المورفين**" التي اكتشفتُ وجودها في أحد أدراجك وأنا أضع جواربك التي رتقتها ؟ الزجاجة التي قلت إنك جئت بها من صيدلية المستشفى ، وإنك سوف تتخلص منها بعد أن تربح الرهان ؟

– نعم ..

– إنني كنت أعرف مدى خطورتها فخشيت أن تمتد إليها يد إنسان يجهل هذه الخطورة فتكون الكارثة ؛ ولذلك أفرغت محتوياتها ووضعت مكانها كمية من بيكربونات الصوديوم التي تشبهها تمامًا ..

فكف "**نيجل**" عن البحث عن أوراقه المفقودة وهتف :

– يا إلهي .. !! هل فعلت ذلك حقًّا ؟ هل تعنين أنني ربحت الرهان بطريقة احتيالية .. وأن ما أقسمت أنه "**طرطيرات المورفين**" لم يكن سوى بيكربونات الصوديوم ؟

– ليس ذلك هو بيت القصيد يا "**نيجل**" .. لقد كان وجود هذه المادة في دولابك ينطوي على خطورة .. المهم أنني وضعت الطرطيرات في زجاجة البيكربونات وأخفيتها في الدولاب تحت ثيابي .

– وماذا كان الفارق بين وجودها في دولابي .. ووجودها في دولابك أيتها البنية العزيزة ؟

– الفارق هو أنني أقيم في غرفتي بمفردي .. بينما يشاركك "**ليونارد**" غرفتك ..

– هل خشيت أن يسرق "**ليونارد**" الطرطيرات .. ؟ أين هي الآن .. ؟

– لا أعلم .. إنها اختفت ..

فجمد "**نيجل**" في مكانه .. وصاح بعد صمت قصير :

– اختفت ؟ ماذا تعنين ؟ يا إلهي .. !! إن أي إنسان يستطيع الآن أن يتناولها باعتبارها بيكربونات .. لماذا لم تتخلصي منها فورًا ما دمت تدركين خطورتها .. ؟

– لأنها مادة ثمينة يجب إعادتها إلى صيدلية المستشفى بدلاً من إعدامها .. وقد كان في نيتي بعد أن تربح الرهان أن أعطيها لـ"**سيليا**" وأطلب إليها أن تردها ..

– هل أنت واثقة بأنك لم تعطيها لـ"**سيليا**" .. ؟

– بالتأكيد .. هل تظن أنني أعطيتها تلك المادة ، وأنها انتحرت بها ، وأنني المسؤولة عن انتحارها ؟

– هدئي روعك .. متى اختفت الزجاجة ؟

– لا أعلم . إنني بحثت عنها في اليوم السابق لوفاة "**سيليا**" ولم أجدها .. وظننت أنني ربما قد وضعتها في مكان آخر ..

– إذن قد اختفت الزجاجة في اليوم السابق لوفاتها ؟

– نعم .. ولا يسعني الآن إلا أن أعترف بغباوتي وقصر نظري .. ألا تظن أنني يجب أن أخبر الشرطة ؟

– بالتأكيد يجب أن تخبري الشرطة.. يا إلهي .. !! سوف يقع اللوم كله عليّ.

– أنا آسفة يا "**نيجل**"..

– يستحيل أن تختفي الزجاجة بهذه البساطة .. لابد أنك وضعتها في مكان ما لا تذكرينه الآن .. هلم بنا إلى غرفتك للبحث عنها ..

❁❁❁❁❁

وإذ هما يبحثان عن الزجاجة في كل مكان بغرفة "**باتريشيا**" ، إذا بالباب يطرق فجأة ، ثم يفتح وتدخل "**سالي فينش**" ..

وبهتت الفتاة الأمريكية حين رأت "**باتريشيا**" تجلس على الفراش و"**نيجل**" يفتش أمتعتها ويلقي بثيابها ذات اليمين وذات اليسار .

صاحت :

– ماذا يجري هنا بحق السماء يا "**باتريشيا**" ؟

فأجاب "**نيجل**" بإيجاز :

– إنني أبحث عن زجاجة بيكربونات ..

– لماذا ؟

– لأنني أشعر بألم في المعدة لا يزيله سوى البيكربونات .

– أعتقد أن لدي كمية من هذه المادة .

– لا مناص من البحث عن بيكربونات "**باتريشيا**" لأنها من نوع خاص يلائمني.

فأجالت "**سالي**" البصر حولها بمزيج من الدهشة والفضول ثم هزت كتفيها وسألت :

– هل أجد لديك طابع بريد يا "**باتريشيا**" ؟

– ابحثي في درج مكتبي .

ففتحت "**سالي**" درج المكتب وتناولت طابعًا لصقته على رسالة معها ثم قالت :

– هنا خطاب بخطك .. هل أحمله معي إلى صندوق البريد ؟

– لا سأرجئ إرساله بعض الوقت .

– إليك ثمن الطابع .. شكرًا .

وانصرفت "**سالي**" .

ونظرت "**باتريشيا**" إلى الشاب بقلق وقالت بصوت خافت :

– "**نيجل**" .. !!

– نعم ..

– أريد أن أعترف لك بشيء آخر .

– ماذا فعلت أيضًا بحق السماء ؟

– أخشى أن يغضبك اعترافي ..

– لم يعد في الدنيا شيء يغضبني .. إنني في حالة هلع . لو ثبت أن "**سيليا**" ماتت بالسم الذي سرقته فسيكون جزائي السجن عدة سنوات .. إن لم يكن الشنق .

– إنني أريد أن أحدثك عن أبيك .

فدار الشاب على عقبيه وحملق إليها وفي عينيه نظرة غضب وصاح :

– ماذا قلت ؟

– هل تعلم أنه مريض جداً ؟

– إن أمره لا يعنيني

– لقد أذاع الراديو أمس أن السيد "**آرثر ستانلي** "عالم الكيمياء المعروف يمر بأزمة صحية خطيرة .

– جميل أن يكون الإنسان مشهوراً .. لكي يعلم الناس جميعاً بمرضه إذا مرض .

– إذا كان في مرض الموت فيجب أن تسعى إلى مصالحته يا "**نيجل**" .

– إنه عاش حيواناً وسيموت حيواناً .

– لا تكن حقوداً إلى هذا الحد يا "**نيجل**" .

– أصغي إليّ يا "**باتريشيا**" .. لقد قلت لك ذات يوم إنه قتل أمي .

– أعلم أنك قلت ذلك وأعلم أنك كنت تحب أمك حبًّا شديداً .. ولكنني أعلم كذلك أنك تجنح إلى المبالغة في بعض الأحيان ..

إن عديداً من الأزواج يقسون على زوجاتهم .. فإذا كان أبوك قد عامل أمك بقسوة فليس معنى ذلك أنه قتلها .

– هل تعرفين الحقيقة أكثر مما أعرفها .. ؟

– كل ما أعرفه أنك سوف تندم يوماً على أنك لم تسع إلى مصالحة أبيك قبل موته ..

وصمتت قليلاً ثم استطردت قائلة :

– ولذلك كتبت خطاباً لأبيك .. قلت فيه ..

– أهو هذا الخطاب الذي أرادت "**سالي**" أن تضعه في صندوق البريد ؟

وأسرع إلى المكتب وتناول الخطاب ومزقه إرباً وألقى به في سلة المهملات وهو يقول :

– إنك عاطفية أكثر مما ينبغي .. ألم يتطرق إلى ذهنك أنني كنت أقر بالحقيقة عندما قلت إن أبي قتل أمي ؟ لقد ماتت أمي بجرعة من "الميدينال" قيل في التحقيق إنها تناولتها خطأ . والحقيقة أن أبي دس لها هذه المادة عمداً ؛ لأنه كان يريد الاقتران بامرأة أخرى ، ولأن أمي رفضت أن تطلقه ..

كانت جريمة قتل واضحة .. فماذا كنت تريدينني أن افعل .. ؟ هل أبلغ البوليس .. ؟ إن أمي ما كانت لتوافق على ذلك .. ولهذا فعلت الشيء الوحيد الذي كان بوسعي أن أفعله .. صارحته بأنني أعرف الحقيقة .. وتركته إلى غير رجعة .. بل واستبدلت بلقبي لقباً آخر .

– أنا آسفة يا "**نيجل**" .. لم يخطر قط ببالي أن . . .

– حسناً .. هانت قد عرفت الآن من هو السيد "**آرثر ستانلي**" عالم الكيمياء المشهور ، ومكتشف المضادات الحيوية ولكن المهم .. هو أن عصفورته طارت من يده فلم يتزوجها .. وأكبر الظن أنها عرفت الحقيقة .

– أنا شديدة الأسف يا عزيزي "**نيجل**" ..

– إذن دعينا لا نتحدث في هذا الموضوع مرة أخرى .. لنبحث الآن عن تلك الزجاجة اللعينة .. ضعي رأسك بين يديك وحاولي أن تتذكري .

*****

دخلت "**جنفييف**" قاعة الجلوس وهي ترتجف من فرط الانفعال وقالت للجميع بصوت خافت :

– عرفت الآن من قتل "**سيليا**" .

فهتف أكثر من صوت :

– من ؟

فنظرت الفتاة حولها بحذر ثم قالت في همس :

– "**نيجل شابمان**" ..

– "**نيجل شابمان**" ؟ وكيف عرفت ؟

– كنت أسير في الدهليز فسمعت صوته منبعثاً من غرفة "**باتريشيا**" ..

فهتفت "**جين**" مستنكرة :

– "**نيجل**" في غرفة "**باتريشيا**" ؟

ولكن "**جنفييف**" لم تحفل بها واستطردت قائلة :

– سمعته يقول إن أباه قتل أمه ، وإنه لذلك غير اسمه .. فالأمر واضح كما ترون .. إذا كان الأب قاتلاً .. فلا عجب إذا ورث الابن غرائزه ..

فقالت "**جين**" :

– لقد كنت أشعر دائماً بأنه إنسان منحل لا أخلاق له .

- 17 -

نظر "**نيجل**" بقلق إلى عيني "**شارب**" الصارمتين بعد أن فرغ من القصة التي رواها للمفتش في إحدى غرف مركز الشرطة فقال له "**شارب**" :

– هل تدرك خطورة ما حدثتنا به الآن ؟

– نعم ..و لولا ذلك ما جئت إلى هنا لأصارحك به .

– تقول إن "**باتريشيا**" لا تستطيع أن تتذكر متى رأت لآخر مرة زجاجة البيكربونات التي بها مادة "**طرطيرات المورفين**" ؟

– إنها تبدو مضطربة الذهن والتفكير ولا تستطيع أن تتذكر شيئا .

– يحسن بنا أن ننطلق فوراً إلى شارع "**هيكوري**" .

وقبل أن يهم المفتش بالنهوض ، دق جرس التليفون ، فتناول الجاويش الذي كان يسجل أقوال "**نيجل**" السماعة وأصغى ثم قال :

– إنها الآنسة "**باتريشيا لين**" تريد التحدث إلى السيد "**شابمان**" .

فتناول "**نيجل**" السماعة وهتف :

– "**باتريشيا**" ؟ أنا "**نيجل**".

وكان صوت الفتاة يبدو لاهثًا مضطربًا والكلمات تتزاحم على لسانها .

هتفت :

– "**نيجل**" . أظن أني عرفت من أخذ الزجاجة من غرفتي . هناك شخص واحد كان في ....

وتلاشى صوتها ، فصاح "**نيجل**" :

– آلو .. "**باتريشيا**" .. هل تسمعينني؟ من هو ؟

– لا أستطيع أن أذكره لك الآن .... فيما بعد .. هل أنت قادم ؟

وكانت السماعة قريبة جداً من المفتش "**شارب**" فسمع الحديث كله بوضوح وقال رداً على نظرة الاستفهام التي رآها في عيني "**نيجل**" :

– قل لها إننا قادمون فوراً .

فقال "**نيجل**" :

– إننا قادمون فوراً يا "**باتريشيا**" ..

– حسنًا .. ستجدني في غرفتي .

*****

ولم يتبادل "**شارب**" و "**نيجل**" كلمة واحدة خلال الرحلة إلى شارع **هيكوري**" .

وكان المفتش يسائل نفسه : "ترى هل وقعت الفتاة على دليل قاطع .. ؟ من المؤكد أنها تذكرت شيئًا له خطورته .. ولابد أنها كانت تتحدث من تليفون الردهة وخشيت أن يسمعها أحد ..".

وفتح "**نيجل**" باب البيت بمفتاحه الخاص ، وصعد مع "**شارب**" درج السلم ، واجتازا الدهليز إلى غرفة "**باتريشيا**" وطرق "**نيجل**" الباب بسرعة ودخل وهو يهتف :

– هالو "**باتريشيا**" . ها نحن قد ...

ولم يتم عبارته ، وأفلتت من فمه شهقة .. وجمد في مكانه .

كانت "**باتريشيا**" ممددة على الأرض بغير حراك ..

وأبعد "**شارب**" الشاب بلطف وجثا بجانب الفتاة ورفع رأسها ، وجس نبضها ، ثم أعاد الرأس إلى مكانه على الأرض ، ونهض واقفًا وهو كالح الوجه مقطب الجبين فصاح "**نيجل**" :

– لا .. لا .. لا .

– نعم يا سيد "**شابمان**" .. إنها ماتت .

– مستحيل .. كيف ...

– بهذا .

كان سلاحًا بسيطًا .. هو عبارة عن قطعة من الرخام مما يستعمل كثقل للأوراق ، موضوعة في جورب مصنوع من الصوف .

– إنها ضربت على مؤخر رأسها ، وقد يعزيك أن تعلم أنها ماتت على الفور.

فجلس "**نيجل**" وهو يرتجف من قمة رأسه إلى أخمصي قدميه :

– هذا جوربي . وكانت سترتقه .. يا إلهي .. !!

وانفجر باكيًا كالأطفال ..

قال "**شارب**" مستطردًا :

– إن القاتل شخص كانت هي تعرفه تمام المعرفة ... شخص تناول الجورب ووضع فيه قطعة الرخام بسرعة .. هل تعرف لمن قطعة الرخام هذه يا سيد "**شابمان**" ؟

قال ذلك وأخرج قطعة الرخام من الجورب ، وأجاب "**نيجل**" وهو لا يزال ينشج بالبكاء :

– كانت "**باتريشيا**" تضعها على مكتبها دائمًا .

ثم نهض واقفًا فجأة وصاح :

– سأقتل من فعل هذا، لابد أن أقتله ..

– هون عليك يا سيد "**شابمان**" .. نعم .. إنني أعرف شعورك .

وأحاط الشاب بساعده وخرج به من الغرفة .. ثم عاد أدراجه بعد لحظة . وجثا بجوار جثة الفتاة .. وانتزع بلطف شيئًا كان في قبضة يدها ..

❁❁❁❁❁

قال "**جيرونيمو**" وهو ينظر حوله في هلع ووجهه يتصبب عرقًا :

– لم أر شيئًا ولم أسمع شيئًا .. ولا أعرف شيئًا .. كنت طوال الوقت في المطبخ مع زوجتي "**ماريا**" ..

فقال "**شارب**" :

– لا أحد يتهمك بشيء ، نريد فقط أن نتحقق من بعض الأمور .. من الذي دخل البيت أو غادره خلال الساعة الأخيرة .

– لا أعلم .. وكيف أعلم ؟

– ولكنك كنت في المطبخ وتستطيع أن ترى من نافذته بوضوح كل من يدخل أو يخرج .. أليس كذلك .. ؟

– بلى .. ربما .

– أخبرنا إذن .

– كثيرون يعودون إلى البيت في هذه الساعة من النهار .

– من كان بالبيت خلال الفترة بين الساعة السادسة ووقت قدومنا في السادسة و35 دقيقة ؟

– الجميع ما عدا السيد "**شابمان**" والسيدة "**هبارد**" والآنسة "**فاليري هوبهاوس**"

– ومتى خرج هؤلاء .. ؟

– السيدة "**هبارد**" خرجت قبل موعد تناول الشاي ولم تعد بعد .

– استمر .

– والسيد "**نيجل**" خرج منذ نحو نصف ساعة ، وكان بادي الانزعاج ، وقد عاد معك .

– هذا صحيح .

– والآنسة "**فاليري**" خرجت في الساعة السادسة تمامًا على دقات ساعة الراديو، وكانت ترتدي ثوبًا أنيقًا لحضور حفلة ولم تعد إلى الآن .

– وهل كان الآخرون موجودين .. ؟

– نعم .

فنظر "**شارب**" في دفتر مذكراته ..

كان قد سجل فيه أن "**باتريشيا**" اتصلت تليفونيًا بـ"**نيجل**" في الساعة السادسة وثماني دقائق بالضبط .

– تقول إن الجميع كانوا هنا ولم يعد أحد خلال هذه الفترة .

– لا أحد سوى الآنسة "**سالي فينش**" . كانت قد خرجت لتضع خطاباً في صندوق البريد ثم عادت توا .

– هل تذكر متى عادت ؟

فقطب "**جيرونيمو**" ما بين حاجبيه وفكر مليًّا وأجاب :

– عادت أثناء إذاعة نشرة الأخبار .

– أي بعد السادسة ؟

– نعم ..

– أي نبأ كان يذاع وقتئذ ؟

– لا أذكر يا سيدي .. ولكن ذلك كان قبل إذاعة أنباء الرياضة ، لأننا نغلق جهاز الراديو حينما تبدأ أنباء الرياضة .

فابتسم "**شارب**" بمرارة :

– معنى ذلك أنه لا يوجد سوى ثلاثة أشخاص يجوز استبعادهم .. وهم "**نيجل**" و"**فاليري**" والسيدة "**هبارد**" .ومعناه أيضاً ضرورة إجراء تحقيقات طويلة مضنية .. ولكن لا بد مما ليس منه بد .

كان القلق والتعاسة يخيمان على غرفة السيدة"**هبارد**" التي قبعت في أحد الأركان، وبينما جلس المفتش "**شارب**" والجاويش "**كوب**" إلى منضدة صغيرة.

قال المفتش :

– أكبر الظن أنها تحدثت من تليفون هذه الغرفة .. فقد قرر الكثيرون أنهم في الساعة السادسة وثماني دقائق كانوا بين داخل إلى غرفة الجلوس أو خارج منها .. وأنهم لم يروا أو يسمعوا أن أحداً استخدم تليفون الردهة .. وطبيعي أن تحديدهم للوقت لا يمكن الركون إليه ..لأن نصفهم على الأقل لا ينظرون إلى الساعة .. ولكني أرجح على كل حال أنها استخدمت تليفون هذه الغرفة للاتصال بمركز الشرطة ..إنك كنت في الخارج يا سيدة "**هبارد**" ولكني أعتقد أنك لا تغلقين

بابك .

– السيدة "**نيكوليتس**" كانت تغلق بابها دائمًا أما أنا فلا .

– إذن فقد تكلمت "**باتريشيا**" من هنا .. وبينما كانت تتكلم ، فتح أحدهم الباب ونظر إلى الداخل ، أو دخل بالفعل ، فوضعت "**باتريشيا**" السماعة ، إما لأن القادم هو نفس الشخص الذي أوشكت أن تنطق باسمه .. وإما على سبيل الحذر.. وأنا شخصيًّا أرجح الافتراض الأول .

– فقالت السيدة "**هبارد**" :

– وربما كان ذلك الشخص قد تبعها إلى هنا ، وأنصت خارج الباب ثم دخل ليمنعها من الاسترسال في حديثها ..

فقال"**شارب**" :

– ومن المحتمل أن يكون ذلك الشخص قد عاد مع "**باتريشيا**" إلى غرفتها .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– لابد أن يكون هذا الشخص إحدى الفتيات لأنه محظور على الشبان دخول عنبر الفتيات إلا في الحالات الاستثنائية .

وكان "**شارب**" قد استمع قبل ذلك إلى أقوال "**سالي فينش**" و"**جين توملنسون**" و"**جنفييف**" فقال :

– ومع ذلك فإن إحدى الفتيات قررت أنها رأت "**نيجل**" في غرفة "**باتريشيا**" ، بينما قالت أخرى إنها سمعته يروي لها كيف أن أباه قتل أمه .

– فقالت السيدة "**هبارد**" :

– لقد اعترف "**نيجل**" بأنه ذهب إلى غرفة "**باتريشيا**" للبحث معها عن الزجاجة.. وهذه إحدى الحالات الاستثنائية .

فقال "**شارب**" :

– يخيل إليّ مما سمعت أن الفتيات هنا يقضين نصف وقتهن في التنصت على الأبواب .

فاحمر وجه السيدة "**هبارد**" وقالت :

– هذا حكم قاس أيها المفتش ، والواقع أنه على الرغم من ضخامة جدران البيت، فإن بعض الغرف قد قسمت بحواجز رقيقة لا تكاد تحجب الصوت . وأنا أعترف بأن "**جين**" مطبوعة على استراق السمع .. فتلك هي طبيعتها ، أما "**جنفييف**" فإنها لم تكد تسمع "**نيجل**" يقول إن أباه قتل أمه حتى أنصتت بدافع الفضول لكي تسمع المزيد من هذه القصة المثيرة .

فأطرق المفتش برأسه لحظة ، ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة مطوية ، وفتحها بعناية فسألته السيدة "**هبارد**" :

– ما هذا ؟

فابتسم "**شارب**" وأجاب :

– شعرتان وجدتهما في قبضة "**باتريشيا لين**" .

وفي هذه اللحظة ، سمعوا طرقًا على الباب فقال "**شارب**" :

– ادخل .

وفتح الباب ودخل "**أكيبومبو**" وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وقال :

– سيدي المفتش .. عندي كلام على جانب عظيم من الأهمية أريد أن أدلي به .

- 18 -

جلس "**أكيبومبو**" على أحد المقاعد ، واتجهت إليه جميع الأنظار .

قال :

– إني أشعر أحيانًا بآلام في المعدة فأتناول بعض أقراص النعناع أو قليلاً من البيكربونات لتسكينها ..

وحدث في يوم لا أذكره من أيام الأسبوع الماضي أن انتابتني تلك الآلام بعد أكلة دسمة ، ولم يكن بقاعة الجلوس سوى "**إليزابيث**" .

فقلت لها : "هل أجد لديك قليلاً من البيكربونات لأن ما كان عندي قد انتهى؟" فأجابت : "لا ، ولكني رأيت زجاجة بيكربونات في درج دولاب

"**باتريشيا**" عندما كنت أضع فيه منديلاً استعرته منها .. سآتيك بهذه الزجاجة ولا أعتقد أنها ستعارض" . وغابت قليلاً وعادت بزجاجة البيكربونات فسكبت محتوياتها في قدح ماء وتجرعته .

فنظر إليه المفتش في ذعر وصاح :

- يا إلهي . !! تجرعت كل ما بالزجاجة ؟

كان المفتش يعلم أن زجاجة البيكربونات التي بغرفة "**باتريشيا**" مليئة بمادة "**طرطيرات المورفين**" .

وأجاب "**أكيبومبو**" ببساطة :

- بالتأكيد .. كنت أظن أن بها بيكربونات .

- المذهل حقًّا أنك لا تزال على قيد الحياة ..

وغمغمت السيدة "**هبارد**" :

- "**راسبوتين**" ... "**راسبوتين**" الجديد .. لقد تناول "**راسبوتين**" جرعات من السم تكفي لقتل ثور وظل على قيد الحياة .

ومضى الشاب الإفريقي في قصته قائلاً :

- وازدادت آلامي حدة .. وقضيت ليلة رهيبة ، وفي الصباح حملت الزجاجة إلى أحد الكيميائيين ، وكانت لا تزال بها ذرات من المسحوق .. ورجوته أن يقوم بتحليلها لأعرف لماذا ازدادت آلامي .. فطلب إليّ أن أعود بعد ساعة فعدت إليه وقال لي : "لا عجب إذا كنت شعرت بآلام شديدة .. فهذه المادة ليست بيكربونات .. ولكنها حمض البوريك .. يمكنك أن تضع البوريك في عينيك ، لكنك إذا ابتلعته فلابد أن تمرض" .

ففتح "**شارب**" عينيه في دهشة وقال :

- حمض البوريك ؟ ولكن كيف وصل حمض البوريك إلى تلك الزجاجة ؟ وماذا حدث لـ "**طرطيرات المورفين**" ؟

واستطرد "**أكيبومبو**" بدون أن يفهم معنى سؤال المفتش :

- وقد أتيحت لي وأنا طريح الفراش فرصة للتفكير في حادث الآنسة

"**سيليا**" . . . وقلت لنفسي لابد أن أحدهم دخل غرفتها بعد موتها ، ووضع زجاجة السم وقصاصة الورق التي تشير إلى أنها انتحرت . . وفكرت . . من كان في استطاعته أن يفعل ذلك ؟ إذا كانت إحدى الفتيات فذلك ممكن . . لأن الفتيات جميعهن يقمن في مبنى واحد . . أما إذا كان رجلاً فذلك متعذر ، لأنه يتعين على هذا الرجل أن يتسلل ليلاً إلى الطابق الأرضي ، ثم يتسلل مرة أخرى إلى الدرج المؤدي إلى بيت الطالبات ، لأن بيت الطلبة منفصل عن بيت الطالبات كما تعلم ، ولا يجمع بينهما سوى الطابق الأرضي حيث توجد قاعة الطعام وغرفة الجلوس والردهة . .

– نعم . . نعم . . . .

– فكرت في أنه يتعذر على الرجل أن يفعل ذلك بدون أن يوقظ أحداً أو يراه أحد . . وهداني تفكيري إلى أن الرجل لابد أنه يقيم في غرفة مجاورة لغرفة الآنسة "**سيليا**" . ولما كانت لكل غرفة شرفة . وكان الجميع يتركون نوافذهم مفتوحة للاعتبارات الصحية ، فلابد أن يكون الرجل ، وخصوصاً إذا كان قويًّا خفيف الحركة ، قد وثب من شرفة غرفته إلى شرفة "**سيليا**"وفعل ما فعل .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– الغرفة المجاورة لغرفة "**سيليا**" يقيم فيها "**نيجل شابمان**" و"**ليونارد بيتسون**" . .

فقال "**أكيبومبو**" :

– إن "**ليونارد**" شاب لطيف ولكن لا أحد يعلم ما تحت الظواهر ، لقد غضب "**شندرالال**" غضبًا شديداً عندما اختفى حمض البوريك الذي يضعه في عينيه . . وأذكر أنه قال لي في حديث بيننا إنه يرتاب في أن يكون "**ليونارد**" هو الفاعل .

فقال "**شارب**" :

– إن "**طرطيرات المورفين**" أخذت من درج "**نيجل**" ووضع حمض البوريك مكانها . . ثم جاءت "**باتريشيا لين**" فأخذت حمض البوريك ظنًّا بأنه "**طرطيرات المورفين**" ، ووضعت بدلاً منه بيكربونات الصوديوم .

– نعم .. نعم .. ذلك ما حدث .

فسأل الشاب الإفريقي بأدب :

– ترى هل أفدّتك بشيء أيها المفتش ؟

– بل أفدتني كثيراً .. وإني أشكرك وأرجوك ألاً تذكر لأحد ما قلته لنا الآن..

وما إن انصرف "**أكيبومبو**" حتى هتفت السيدة "**هبارد**" :

– "**ليونارد بيتسون**" .. !! لايمكن أن أصدق ..

فقال "**شارب**" :

– وما قولك في هذا ؟

وأخرج من لفافة الورق شعرتين حمراوين قصيرتين .. من لون شعر رأس "**بيتسون**" .

- 19 -

ختم "**بوارو**" حديثه بقوله :

– إن الموقف واضح كما ترى .

فقال "**شارب**" وهو يعرض عليه الشعرتين الحمراوين :

– على الرغم من وجود هذا الدليل ؟

– إنه دليل مصطنع كما يقولون في تمثيليات الإذاعة . والآن يا صديقي هل أعددت العدة لمهمة الغد ؟

– نعم .

– هل ستقوم بهذه المهمة بنفسك ؟

– لا . سيقوم بها الجاويش "**كوب**" . أما أنا فسأذهب إلى بيت شارع "**هيكوري**" .

– أتمنى لكما التوفيق .

✽✽✽✽✽

قال "**كوب**" لزميله "**ماكري**" وهما ينظران بإعجاب إلى معروضات صالون "**سابرينا**" :

– ما أبرع هؤلاء الناس .. !! إنهم يعرضون بضاعتهم عرضًا مثيراً ..

ودخلا الصالون .. ذا الجدران الوردية، وتقدمت لاستقبالهما مخلوقة فاتنة رقيقة تهادت نحوهما بخفة ، حتى خيل إليهما أن قدميها لا تمسان الأرض .

وأبرز "**كوب**" بطاقته ، فتناولتها الفتاة وانطلقت بها كالفراشة .

وبعد قليل ، جاءت سيدة نبيلة المظهر كأنها إحدى الدوقات ، فحدثها "**كوب**" عن مهمتهما بإيجاز فقالت :

– هذا إجراء غير مألوف .. أرجو أن تتبعني .

وسارت بهما إلى غرفة صغيرة في مؤخر الصالون ، بها مكتب تكدست عليه الأوراق والمجلات وقالت :

– هذا مكتب شريكتي الآنسة "**فاليري هوبهاوس**" .. وهي ليست هنا اليوم.

– لا بأس يا سيدتي .

– في استطاعتك القيام بإجراءات التفتيش ، ولكنني أرجو عدم إزعاج عميلاتنا بأية صورة .

– اطمئني يا سيدتي .. إن مهمتنا مقصورة على هذه الغرفة .

وانصرفت السيدة ، وشرع "**كوب**" وزميله في التفتيش ..

بحثا بين محتويات الأدراج ، وفتشا الخزانة الصغيرة القائمة في ركن الغرفة وبين أكداس الأوراق والمجلات الموجودة فوق المكتب ، وخيل إليهما في وقت ما أنهما سيخرجان صفر اليدين .

وأخيرًا خطر لـ" **كوب**" خاطر ، فأخرج أدراج المكتب من مكانها ، وأخذ يفحصها فحصًا جيداً .. ولم يلبث أن صاح :

– ها هي يا بني .

كان هناك عدد كبير من جوازات السفر مثبتة أسفل أحد الأدراج بشريط

لاصق.. فانتزعها "**كوب**" من مكانها وراح يتصفحها .

كانت كلها جوازات رسمية لا غبار عليها ، صادرة عن وزارة الخارجية بأسماء مختلفة ..

وفتح "**كوب**" الجوازات وراح يقارن بين الصور الفوتوغرافية الملصقة عليها . وارتسمت في عينيه نظرة إعجاب وهو يقول :

– يستحيل أن يتبادر إلى ذهن أحد أن كل هذه الصور والأسماء لامرأة واحدة.. إن لون الشعر وطريقة تصفيفه وعقصه تجعل كل صورة تختلف تمامًا عن الأخرى كأنها لشخص آخر.. وأعتقد أنها أجرت تعديلات في أنفها في صورة الجواز الذي يحمل اسم السيدة "**محمودي**" الجزائرية .. وضخمت شدقيها في صورة الجواز الذي يحمل اسم "**شيلا دونوفان**" الأيرلندية .

فقال "**ماكري**" :

– يخيل إليّ أنها تمارس عملية معقدة .

– بل عملية شديدة التعقيد.. إن من أيسر الأمور أن يجمع الإنسان ثروة كبيرة من التهريب .. ولكن من العسير الإجابة عن الأسئلة المحرجة التي يلقيها رجال الضرائب بشأن مصادر الإيراد،وأعتقد أن هذه المرأة قد أنشأت ناديًا في "**مايفير**" خصيصًا لهذا الغرض ، فأرباحه هي المصدر الوحيد الذي لا يستطيع رجل الضرائب حصره وتقديره .

وأكبر الظن أن هذه المرأة تحتفظ بأرباحها المشروعة وغير المشروعة في بنوك "**فرنسا**" و"**أيرلندا**" و"**الجزائر**" .

نعم .. إنها عملية شديدة التعقيد .. ولكنها مدبرة تدبيرًا محكمًا .. وكان من الممكن أن تستمر إلى أجل غير مسمى ، لولا أن شاء القدر أن يقع بصر "**سيليا أوستن**" المسكينة على أحد هذه الجوازات في غرفة "**فاليري هوبهاوس**" .

*****

- 20 -

قال المفتش "**شارب**" :

– نعم ، كانت "**فاليري هوبهاوس**" بارعة كل البراعة فيما دبرت ، وقد عرفت كيف تخفي أموالها حتى اضطررنا إلى أن نلهث بين البنوك لنعرف حقيقة ثروتها.. وقد كان في مقدورها بعد عام أو عامين أن ترحل عن هذه البلاد إلى مكان آخر في العالم تستطيع أن تنعم فيه بملايينها .

كانت تقوم بالصفقات الضخمة بنفسها بفضل الجوازات العديدة المزيفة ، كما كانت تستخدم الطلبة الأبرياء في التهريب عن طريق الحقائب المتشابهة ذات المخابئ السرية . وكان لها عملاء في الداخل والخارج يعرفون متى وكيف يستبدلون الحقائب .

نعم .. كانت خطة محكمة يرجع كل الفضل في إماطة اللثام عنها لصديقنا "**بوارو**" .. كما يرجع الفضل في الكشف عن دور "**فاليري**" في حض "**سيليا**" على السرقة .. وهو دور يدل على ذكائها وقدرتها على إدراك أهمية العوامل النفسية في السلوك الإنساني .

كان الحديث يدور في غرفتها بصفة غير رسمية ، فقال "**بوارو**" :

– لقد أضاعها جشعها .. فإن استيلاءها على خاتم "**باتريشيا**" كان أول مؤشر نبهني إلى براعتها في تقييم الأحجار الكريمة وتصريفها .

فقالت السيدة "**هبارد**" :

– ولكن تهريب المخدرات والأحجار الكريمة شيء .. وارتكاب جريمة قتل شيء آخر .

فقال "**شارب**" :

– إن لدينا الأدلة الكافية على ممارستها التهريب .. ولكننا لا نملك دليلاً واحداً على أنها قتلت "**سيليا أوستن**" .. يضاف إلى ذلك أن هناك جريمتين أخريين ، فقد جاء تقرير الطبيب الشرعي مؤيداً وفاة السيدة "**نيكوليتس**" بنفس المادة السامة .

ويحتمل أن تكون "**فاليري**" قد قتلت هذه الأخيرة .. ولكن من المؤكد أنها لم تقتل "**باتريشيا**" ، بل لعلها الشخص الوحيد الذي لا تحوم حوله ارتكاب هذه الجريمة . ولقد أكد "**جيرونيمو**" أنها غادرت البيت في الساعة السادسة ولم يتزحزح قط عن أقواله .. ولست أدري .... فلعلها قدمت إليه رشوة ..

فهز "**بوارو**" رأسه سلبًا . ومضى "**شارب**" في حديثه قائلاً :

– ثم إن لدينا أقوال صاحب الصيدلية القريبة . إنه يعرفها جيداً وقد قرر أنها ذهبت إليه في الساعة السادسة وخمس دقائق ، فابتاعت قرصًا من الأسبيرين وتحدثت بالتليفون ، وغادرت الصيدلية في الساعة السادسة والربع . واستقلت إحدى سيارات الأجرة من موقف السيارات أمام الصيدلية .

فاعتدل "**بوارو**" في جلسته وهتف :

– ولكن هذا رائع .. هذا ما كنا نبحث عنه .

– ماذا تعني بحق السماء يا سيد "**بوارو**" .. ؟

– أعني أنها تحدثت من تليفون الصيدلية .

– دعنا ننظر إلى الحقائق يا سيد "**بوارو**" .. في الساعة السادسة وثماني دقائق ، كانت "**باتريشيا**" على قيد الحياة ، واتصلت تليفونيًا بمركز الشرطة من هذه الغرفة .

– لا أظن أنها اتصلت تليفونيًا من هذه الغرفة .

– إذن فقد اتصلت من تليفون الردهة بالطابق الأرضي .

– ولا ذلك أيضًا .

فتنهد "**شارب**" وقال :

– هل تنفي أنها اتصلت تليفونيًا بمركز الشرطة ؟

– كلا .. لا أنفي حدوث اتصال تليفوني ، ولكني أعتقد أنه حدث من تليفون الصيدلية المجاورة .

ففغر "**شارب**" فمه في دهشة .. ثم قال :

– هل تعني أن "**فاليري هوبهاوس**" هي التي اتصلت بمركز الشرطة زاعمة أنها

"**باتريشيا لين**" ، وأن "**باتريشيا لين**" كانت قد ماتت بالفعل .. ؟

– نعم ذلك ما أعني .

فصمت المفتش لحظة ، ثم ضرب المائدة بقبضة يده وصاح :

– غير معقول .. إن الصوت الذي سمعته بنفسي . . .

فقاطعه "**بوارو**" قائلا :

– إنك سمعت صوتًا لاهثًا مضطربًا ولكنك لا تعرف صوت "**باتريشيا لين**" لكي تقرر أن ما سمعته هو صوتها .

– هذا صحيح .. ولكن "**نيجل شابمان**" هو الذي تحدث إليها وهو يعرف صوتها .. إذ ليس من السهل تغيير الصوت في التليفون أو تزييفه .

فقال "**بوارو**" :

– كان «**نيجل شابمان**" يعلم جيداً أن الصوت الذي سمعه ليس صوت "**باتريشيا**" ؛ لأن "**باتريشيا**" كانت قد ماتت ؛ ولأنه هو الذي قتلها قبل فترة قصيرة بأن ضربها على مؤخر رأسها .

✽✽✽✽✽

ومرت دقيقة أو دقيقتان قبل أن يلتقط المفتش "**شارب**" أنفاسه ويهتف :

– "**نيجل شابمان**" .. !! ولكنه بكى بكاء الأطفال حين رأى جثتها ..

– أظن أنه كان يحبها ولكن ليس بالقدر الذي يصون حياتها إذا أحس بأنها أصبحت خطراً يهدد مصالحه . لقد كانت الشبهات تحوم حوله وتمسك بتلابيبه طوال الوقت : في حوزة من كان السم .. ؟ "**نيجل شابمان**" . من الذكي المنحرف الذي يستطيع التخطيط وله الجرأة على التنفيذ .. ؟ "**نيجل شابمان**" ..

إن له كل الصفات التي يتميز بها القاتل : الغرور ، والحقد ، وتصعيد المجازفات للفت الأنظار إليه بكل وسيلة ممكنة .. فاستخدم حبره الأخضر كخدعة ذات وجهين ، ثم تجاوز كل حدود الغرور، والاستهانة بذكاء الغير حين وضع شعرتين من رأس "**بيتسون**" في يد "**باتريشيا**" .. وغاب عنه أن "**باتريشا**" ضربت من

الخلف، وكان من غير الممكن أن تمسك بشعر ضاربها .. إن القتلة جميعًا سواسية، يعجبون بأنفسهم ويغالون في تقدير ذكائهم .. ويعتمدون أكثر مما ينبغي على ظرفهم .. إذ لا ينبغي أن ننسى أن "**نيجل**" إنسان ظريف، كأي مدلل لن يشب عن الطوق أبداً . طفل لا يرى إلا نفسه .. وما يريد لنفسه .

– ولكن يا سيد "**بوارو**" ... لماذا قتل "**باتريشيا**" .. ؟

– ذلك ما يجب أن نعرفه .

- 21 -

قال "**أنديكوت**" المحامي العجوز ، وهو يمعن النظر في وجه "**بوارو**" :

– إنك أسعدتني بهذه الزيارة يا سيد "**بوارو**" .. فإنني لم أرك منذ وقت طويل.

– الواقع أنها زيارة عمل .

– إني مدين لك بالكثير . ولن أنسى ما فعلته من أجلي في قضية "**أبيرنتي**" ..

– لم أكن أتوقع أن أجدك هنا .. كنت أظن أنك تقاعدت منذ وقت طويل .

فابتسم المحامي الشيخ وأجاب :

– أنا متقاعد بالفعل.. ولا أمارس من الأعمال سوى الإشراف على مصالح عميل أو اثنين من أصدقائي القدامى .

– أعتقد أن السيد "**آرثر ستانلي**" كان أحد عملائك وأصدقائك القدامى .. أليس كذلك ؟

– بلى .. وأنا أشرف على شؤونه القانونية منذ كان كيميائيًّا صغيراً .. والحق أنه كان رجلاً ممتازاً وعقلية جبارة .

– أظن أن نبأ وفاته أعلن أمس في إذاعة الساعة السادسة ؟

– نعم .. وستشيع جنازته يوم الجمعة .. كان مريضًا منذ فترة طويلة .. وقيل لي إنه كان يعاني أوراماً خبيثة .

– وهل توفيت زوجته منذ وقت طويل ؟

– منذ عامين ونصف العام تقريباً .

– وكيف ماتت ؟

فأجاب المحامي بسرعة :

– قضاء وقدراً فيما أعتقد .. تناولت جرعة كبيرة من عقار منوم يسمى "ميدينال" .

– هل جرى تحقيق في حادث وفاتها ؟

– نعم ، وكانت نتيجته أنها تناولت العقار المنوم خطأ .

وصمت المحامي لحظة ثم قال :

– يخيل إليّ أن لديك أسباباً وجيهة تدعوك إلى إلقاء هذه الأسئلة .. ولذلك أبادر فأقول لك إن الـ"ميدينال" عقار خطر، وإن الفاصل بين الجرعة المفيدة والجرعة القاتلة ضيق جداً ، حتى إذا نسي المريض أنه تعاطى الجرعة المألوفة وأخذ غيرها .. فإن الجرعة الثانية قد تقتله .

– وهل ذلك ما فعلته السيدة "ستانلي" ؟

– يبدو ذلك ، إذ لم يكن هناك ما يوحي بفكرة الانتحار .

– أو ما يوحي بشيء آخر ؟

فنظر إليه المحامي بطرف عينه وأجاب :

– لقد سئل زوجها وأدلى بشهادته .

– وماذا قال ؟

– قال إنها تناولت الجرعة المألوفة ويبدو أنها أصيبت بنوبة ذهول أو نسيان وتناولت جرعة ثانية .

– وهل كذب ؟

– يا له من سؤال .. !! ولماذا تظن أنه كذب ؟

فلم ينخدع "بوارو" ، وقال وهو يبتسم :

– أظن يا صديقي أنك تعرف الكثير ، ولكني لن أحرجك ، ولن أطلب إليك أن تدلي إليّ بكل ما تعرف، سأقنع بأن أطلب رأيك في أمر بعينه وأحب أن تكون

صريحًا .. هل كان السيد "**آرثر ستانلي**" الرجل الذي يمكن أن يتخلص من زوجته ليقترن بامرأة أخرى ؟

فوثب المحامي من مقعده كمن لدغته أفعى وصاح في غضب :

- هراء .. إنه كان مخلصًا لزوجته ولم تكن في حياته امرأة أخرى .

- ذلك ما ظننته .. والآن سأحدثك عن الغرض من زيارتي. إنك محامي السيد "**ستانلي**" ومن المؤكد أنك الذي كتبت صيغة وصيته ، ومن المحتمل أن تكون الموكل بتنفيذها .

- هذا صحيح .

- السيد "**آرثر**" كان له ابن ، وقد اختلف الابن مع أبيه عقب وفاة أمه ، وترك البيت ، واستبدل بلقبه لقبًا آخر .

- لا علم لي بذلك .. ما لقبه الجديد ؟

- قبل أن أذكره لك .. أود أن أقول إنني استنتجت بعض أمور ، فإذا كنت مصيبًا فيما استنتجت.. فأرجوك أن تصرح بذلك .. إنني أظن أن السيد "**آرثر ستانلي**" ترك معك رسالة مختومة طلب إليك أن تفضها في ظروف معينة بعد موته .

- الحق يا "**بوارو**" .. لو أنك عشت في العصور الوسطى لأحرقوك مع السحرة .. كيف أمكنك أن تعرف ذلك ؟

- إذن فقد أصبت .. وأظن أن الرسالة تحدد لك طريقتين للتصرف ، فإما أن تحرقها ، وإما أن تتخذ إجراء معينًا .

وصمت .. ولم يتكلم المحامي فصاح "**بوارو**" بانزعاج :

- يا إلهي .. !! لا شك أنك لم تحرقها ..

فهز المحامي رأسه سلبًا وأجاب :

- إننا لا نتسرع في تصرفاتنا .. ثم إنه كان لزامًا عليّ أن أقوم ببعض التحريات إرضاء لضميري .. ولكن لا تحاول أن تعرف المزيد مني فهذه أسرار لا أبوح بها لأحد حتى ولا لك يا "**بوارو**" ..

– إذن دعني أذكر لك ما خمنته .. إن تعليمات السيد "**آرثر**" إليك هي أن تقوم بعد موته بالبحث عن ابنه "**نيجل**" ، لمعرفة أين يعيش وكيف يعيش ، وهل له أي نشاط إجرامي ؟

وهنا أفلتت من فم المحامي آهة تدل على الدهشة وقال :

– ما دمت تلم بكل هذه الحقائق فسأذكر لك كل ما تريد معرفته ، إذ يخيل إليّ أنك قابلت "**نيجل**" في أثناء ممارستك لمهنتك ، فماذا فعل هذا الشيطان الصغير..؟

– سأروي لك قصته : بعد أن غادر "**نيجل**" البيت ، قام بتغيير لقبه ، وزعم أنه فعل ذلك تنفيذاً لشرط في وصية حتى لا يفقد نصيبه في ميراث ما ؛ ومن ثم عمل في منظمة لتهريب المخدرات والأحجار الكريمة ، ولعب في ذلك دوراً رئيسيًّا بحكم صلته بالطلبة والطالبات .

وكانت المنظمة في الواقع تتكون من شخصين .. "**نيجل شابمان**" – وذلك هو اسمه الجديد – وفتاة تدعى "**فاليري هوبهاوس**" أعتقد أنها وضعت قدمه على طريق التهريب .

كانت منظمة صغيرة ولكنها حققت أرباحًا طائلة من العمولات التي تقاضتها عن عمليات التهريب .

وسارت الأمور في يسر إلى أن حدثت مصادفة من تلك المصادفات العجيبة التي تهيئها الأقدار ، فقد ذهب رجال الشرطة إلى بيت للطلبة والطالبات ذات مساء للسؤال عن طالب متهم في جريمة أخلاقية ، فذعر "**نيجل**" وظن أن الشرطة تتعقبه، وعمد إلى حقيبة كانت تستخدم في نقل المخدرات فمزقها شر ممزق ، وألقى بها إلى الفناء الخلفي حتى لا تجدها الشرطة ، وتجد فيها آثار المخدرات .

واتفق لسوء حظه أن فتاة من النزيلات كانت تطل من نافذتها فرأته حين ألقى بالحقيبة الممزقة في الفناء الخلفي ، ويبدو أنه علم بذلك وأراد أن يصرف الفتاة عن التفكير في موضوع الحقيبة ، فعمل مع شريكته على توريطها في سلسلة من

السرقات ، مما حمل مديرة البيت على الاستعانة بي لكشف الأحداث الغريبة التي توالت في البيت .

وعندما نصحت مديرة البيت بإبلاغ الشرطة دب الذعر في قلب الفتاة ، فاعترفت بمسؤوليتها عن الأحداث التي تورطت فيها ، وألحت على "**نيجل**" لكي يعترف بمسؤوليته عن اختفاء الحقيبة ، ولم يكن بوسع "**نيجل**" أو شريكته إثارة الشبهات حول الحقائب حتى لا ينهار عملهما من أساسه . يضاف إلى ذلك أن الفتاة المذكورة وتدعى "**سيليا أوستن**" وقفت على معلومات أخرى خطيرة ، إذ عرفت اسم "**نيجل**" الحقيقي وألمحت إلى ذلك ليلة أن تناولت العشاء في ذلك البيت ..

كذلك علمت "**سيليا**" بطريقة ما أن "**فاليري**" تستخدم في أسفارها جواز سفر مزيفًا ، ولعلها رأت هذا الجواز مصادفة .

صفوة القول أن الشريكين أحسا بأن "**سيليا**" تعرف الكثير وأنها أصبحت خطرًا عليهما .

وفي مساء اليوم التالي خرجت "**سيليا**" لمقابلة "**نيجل**" في مكان ما فدس لها السم في القهوة ، وماتت الفتاة في أثناء نومها . ودبر "**نيجل**" الأمر لكي تبدو الوفاة وكأنها انتحار .

ولم ينته الأمر عند هذا الحد .. فقد ماتت المرأة التي تملك ذلك البيت ومجموعة أخرى من أندية الطلبة وبيوتهم في ظروف مريبة .

ثم وقعت أخيرًا الجريمة الرهيبة التي تنطوي على قسوة ووحشية لا مثيل لهما... وكانت ضحية هذه الجريمة فتاة تدعى "**باتريشيا لين**" .

كانت هذه الفتاة تحب "**نيجل**" وأعتقد أنه كان يحبها ، ولكنه وجد أنها تتدخل في شؤونه الخاصة ، وتلح عليه في أن يتفاهم مع أبيه المشرف على الموت ... وكانت قد كتبت إلى الأب رسالة بهذا المعنى ، فمزق "**نيجل**" الرسالة ، ويبدو أنه خشي أن تعيد الفتاة الكرة وتبعث برسالة أخرى فقتلها ...

والآن .. أيها الصديق ، هل تستطيع أن تنبئني ماذا أخاف "**نيجل**" من اتصال

الفتاة بأبيه إلى حد أنه قتلها ليحول دون هذا الاتصال ؟

فنهض المحامي ، وفتح خزانته ، وتناول منها ظرفًا كبيراً أزيلت أختامه ، وأخرج منه ورقتين وضعهما أمام "**بوارو**" .

وقرأ "**بوارو**" في إحدى الورقتين :

– "عزيزي "**أنديكوت**" ....

"إنك ستفض هذه الرسالة بعد موتي وأنا أريدك أن تبحث عن ابني "**نيجل**" وأن تتحرى عما إذا كان له أي نشاط إجرامي .

إن الحقائق التي سأذكرها لك الآن لا يعرفها أحد سواي ...

لقد كان "**نيجل**" دائمًا سيئ السلوك ، وقد قام مرتين بتزوير اسمي على الشيكات ، واضطررت في كل مرة إلى أن أقرر أن التوقيع بخطي .. ولكني أنذرته بأنني لن أفعل ذلك مرة أخرى .

غير أنه في المرة الثالثة زور توقيع أمه، وتوسَّل إليها أن تصمت ، ولكنها رفضت، وقالت له إنها ستصارحني بالأمر .

وفي تلك الليلة ، قدم لها كمية العقار المنوم مضاعفة ، وقبل أن يظهر أثر العقار ، جاءت إلى غرفتي وحدثتني عن التزوير الذي ارتكبه "**نيجل**" .. وفي الصباح ، كانت قد توفيت ... ولكني عرفت من المسؤول عن وفاتها ، فوجهت الاتهام إلى "**نيجل**" ، وقلت له إنني سأبلغ الشرطة . ولكنه توسل إليّ ألاّ أفعل . واستمات في التوسل ..

ماذا كنت تفعل في مكاني يا "**أنديكوت**" ؟

كنت أعرف ولدي على حقيقته شابًا منحرفًا خطيراً ... لا خلق له ولا ضمير ، وليس ثمة ما يبرر الإشفاق عليه ... ولكني فكرت في زوجتي المحبوبة فضعفت عزيمتي .. فكرت في أنها ما كانت لترضى أن أدفع به إلى المشنقة .. أو توافق على تلطيخ اسمنا بالعار .

ولكن كان هناك اعتبار آخر ..

كنت أؤمن بأن القاتل يظل قاتلاً ولا يكف عن القتل طوال حياته .. ففكرت في

أن أساوم ابني على حياة الضحايا الذين يمكن أن يفتك بهم في المستقبل.. ولا أدري هل أخطأت في ذلك أم أصبت ..

طلبت إليه أن يعترف بجريمته كتابة على أن أحتفظ بهذا الاعتراف .

وطلبت إليه أن يغادر البيت ولا يعود إليه أبداً .

وقلت له إنني بهذا أمنحه فرصة ثانية .. وإن النقود التي ورثها عن أمه ستصله بانتظام .. وإن تعليمه وثقافته كفيلان بأن يهيئا له مستقبلاً مشرقًا لو استقام .

فإذا وجدت أيها الصديق أنه تورط في أي نشاط إجرامي ، فعليك أن تقدم الاعتراف المرفق بهذا إلى رجال الشرطة .

أنت أقدم أصدقائي . وأنا أضع هذا العبء على كاهلك وأستحلفك باسم الميتة الكريمة – التي كانت أيضًا صديقتك – بأن تبحث عن "**نيجل**" ، فإذا كان سلوكه نظيفًا فمزق هذه الرسالة والاعتراف ، وإلاَّ فدع العدالة تأخذ مجراها .

صديقك المخلص

"**آرثر ستانلي**"

وتنهد "**بوارو**" وبسط الورقة الثانية وقرأ فيها :

"أعترف بأنني قتلت أمي بجرعة كبيرة من "**الميدينال**" في 18 نوفمبر (تشرين الثاني) سنة 1952" .

"**نيجل ستانلي**"

- 22 -

قال المفتش "**شارب**" :

– أنت تعرفين الآن حقيقة مركزك يا آنسة "**هوبهاوس**" ... وقد أنذرتك بأن ..

فقاطعته "**فاليري**" قائلة :

– إنني أعرف ما أنا فاعلة ، وأعلم أنك أنذرتني بأن ما سأقوله سوف يتخذ دليلاً ضدي . إنك وجهت إليّ تهمتين : التهريب ... وهذه لا أمل لي في دفعها ، وعقوبتها السجن مدة طويلة ، ثم الاشتراك في ارتكاب جرائم القتل .

– إن استعدادك للاعتراف قد يفيدك ، ولكني لا أستطيع أن أعدك بشيء .

– لا أريد أن تعد بشيء .. فقط أريد أن أقرر أنني لست قاتلة ... وأنني لم أضمر ولم أرد قتل أحد . كذلك أريد أن تضيق الحلقة حول "**نيجل**" حتى لا يجد منها مخرجًا .

كانت "**سيليا**" تعرف أكثر مما ينبغي .. وكان في استطاعتي أن أعالجها بطريقة أو بأخرى ، ولكن "**نيجل**" لم يمنحني الوقت الكافي للتصرف ... وضرب لـ"**سيليا**" موعداً ، وقال لها إنه سيعترف بمسؤوليته عن الحقيبة والحبر ، ثم دس لها السم في القهوة ، وكان قبل ذلك قد عثر على رسالتها إلى السيدة "**هبارد**" ، فقطع منها الجزء الذي يشير إلى فكرة الانتحار ، ووضعها بجانب فراشها مع زجاجة السم الفارغة التي كان قد ألقى بها في سلة المهملات ، ثم عاد وأخذها خلسة .

وجاءني بعد الجريمة واعترف لي بما فعل ، واضطررت إلى الوقوف بجانبه إبقاء على كياني .

وحدث الشيء نفسه مع السيدة "**نيكوليتس**" ....

وجد أنها أدمنت الشراب وبدت عليها دلائل الانهيار ، فلحق بها إلى المقهى ودس لها السم في الشراب .

وقد أنكر مسؤوليته عن هذه الجريمة ، ولكني كنت واثقة بأنه الذي ارتكبها .

ثم قتل "**باتريشيا**" ، وجاء إلى غرفتي وأخبرني بما فعل ورسم الخطة لإبعاد الشبهة عنا معًا ... ولم يسعني إلاّ الخضوع وتنفيذ خطته ، لأنني كنت أشعر بأنني وقعت في المصيدة ولا سبيل إلى النجاة ..

ولولا أنكم ألقيتم القبض عليّ اليوم ، لفررت إلى بلد آخر لأبدأ حياة جديدة. أما الآن ... فإن كل أملي هو أن أرى حبل المشنقة حول عنق هذا الشيطان القاسي

الباسم .

فقال "**شارب**" :

– إنني أفهم شعورك جيداً .

فقالت بحدة :

– أنت لا تفهم شيئًا ... إن لدي أسبابًا خاصة .

فقال "**بوارو**" بلطف :

– السيدة "**نيكوليتس**" ؟

فرفعت الفتاة رأسها فجأة ، ونظرت إليه بحدة .. فقال :

– إنها كانت أمك ... أليس كذلك ؟

فأجابت "**فاليري**" :

– نعم ... إنها كانت أمي .

تمّت بعون الله